الفصل الأول

مـــدخـــل

مشكلة البحث :

مـــع مـــا أحدثـــته الخطابـــات الكونية التي قدمها توفلر Toffler وليوتار Lyotard وكيـــندي Kennedy وفوكـــوياما Fukuyama وهنتنجـــتون Huntington من جدل تباينت معه ردود الأفعال إزاء حقيقة التفاعل الحضاري العالمـــي المقـــبل، وانطلقت كثير من الآراء تعلي فكرة الحوار كبديل عن فكرة الـــصدام أو الصراع، وفي ظل الأحداث الجسام التي تعصف بالعالم بين الحين والآخـــر، يتساءل بعض الباحثين عن الحوار الحضاري : حقيقة هو أم خرافة؟ فرص واعدة أم صيغ استعمارية جديدة ؟ محو حدود أم أدوار جديدة ؟ " صراع أم صدام أم حوار ؟ " وصاحب هذا الجدل ابتكار مفاهيم جديدة مثل : " المجتمع ما بعد الصناعي " و" مجتمع الوفرة " و" المجتمع المتكامل " و" القرية الكونية "، جاءت جميعها لتوصيف ذلك الذي يحدث في عالمنا المعاصر. وفي هذا الإطار ارتفعـــت أصـــوات في المجتمعات الغربية، تعيد إلى الأذهان صيغاً استعمارية قديمـــة (مـــثل أمانة الرجل الأبيض)، وتدور هذه الآراء الغربية حول فكرة أن تـــرث المجتمعات المتخلفة الخبرة من المجتمعات المتقدمة، بما يمكن أن يخلق علاقة متميزة بينهما، الأمر الذي يستلزم إعادة صياغة سلوك الدول المتخلفة بما يطابق سلوك الدول المتقدمة .

أي حـــوار إذن إذا كانـــت هذه الأفكار تدور حول مضمون جعل هذه الدول المـــتخلفة مـــن وجهـــة نظر الغرب وطبقاً لمعاييره بمثابة متقبلات سلبية للدول المتقدمة. إنه تصور أساء قراءة التاريخ، ولم يتفهم حركية العلاقات بين الدول، التي تأسست وتطورت على حوار الاختلاف والتكيف. وعلى حين يزعم بعض المفكـــرين أن جدلـــية المستقبل ستكون ثقافية حضارية في المقام الأول، يعتقد البعض أن الاقتصادي مدخل لا مكان فيه للثقافي الحضاري إلا هامشياً وضيقاً. ويـــسعى فـــريق ثالـــث إلى الخلط بين الرؤيتين حينما رسم رونالد روبرتسون Robertson, 1996 [1] صـــورة للعالم، تتسم بدرجات من الاعتماد الحضاري

والمجتمعي المتبادل كمكان واحد وإن كان مسار فكره يمايز بينهما حينما يعني أن هذا الاعتماد الحضاري هو محصلة التوظيف الرأسمالي للنتائج التي أرستها مسارات الصراع الساعي للهيمنة على العالم اقتصادية كانت أو ثقافية. وفي محاولة لفرض نموذجه، بدت أمام روبرتسون عقبتان : الأولى قوة النزعة القومية، والثانية تزايد النزعة الأصولية، وكلاهما لديه يندرجان في إطار " البحث عن أسس "، تلك التي يغذيها الحنين إلى الجماعة في صيغتها القومية، وفي صيغتها الأصولية، حنين إلى التراث، وكلاهما يسكن في الهوية. لكن روبتسون ينوء بالهوية، فيراها وقد أعياها ثقل الراهن وواقعية حضوره، ليضحى الخلاص بالإقبال على تدبر الحاضر قبل أي شيء، والعمل على بناء استراتيجية تستهدف تفعيل الوعي الكوني في محاولة منه لإسقاط ما يحول دون حدوث الاعتماد الحضاري بمنطق الهيمنة الغربية. وهكذا يبدو الخط الثالث في الخطابات الكونية معتمداً في الأساس على أن الجوانب الاقتصادية ذات أهمية كبيرة في العلاقات بين المجتمعات، لكن هذه الجوانب تخضع خضوعاً كبيراً للاحتمالات والتأويلات الثقافية، ويذهب بعض المغالين في هذا الخط (ومنهم روبرتسون بالطبع) إلى أنه مازالت هناك قضايا مهمة، ذات طابع ثقافي بالأساس، تبني معظم العلاقات، العدائية منها والودية وتشكلها فيما بين المجتمعات القومية، ومن ثم تصبح التعددية الإثنية والثقافية – من وجهة نظرهم – قيوداً داخلية وخارجية ذات أهمية متزايدة على تشكيل السياسة الخارجية .

ويعتقد روبرتسون أن العوامل الثقافية تدخل في مجال السياسة الواقعية، وقد يقال، وبدرجات متفاوتة، أن كل السياسة الدولية ثقافية بمقتضى أننا نعيش عصر السياسة الثقافية الكونية. وفي الدراسة الراهنة نحن نميل إلى فهم " الاعتماد الحضاري " من منطلق تقبل ثقافات الغير "وتفهمها كجزء من تقدير القضايا الاجتماعية الاقتصادية والإيكولوجية العالمية. ونؤكد هنا على احترام الخصوصية الثقافية للشعوب والاستفادة منها في إطار التكامل والتلاقي وباعتبار أن هذه الثقافات تمثل الميدان الأبرز للتفاعل الإنساني، ولست أدعي هنا أن انطلاقتنا الفكرية جديدة، فقد اقتربت آراء كثيرة في الماضي من هذه الرؤية، فالرواقيون نادوا ببعض من هذه الأفكار قديماً، ثم الشرائع السماوية كالمسيحية، وازدادت عمقاً وتأصيلاً في الإسلام بدعوته الصريحة إلى أن التنوع بين

الشعوب والقبائل أساس للتلاقي والتعارف والتكامل . ويحاول فكر " ما بعد الحداثة " محاكاة هذه الرؤية من خلال تحطيم الأنساق الفكرية الكبرى (والماركسية تحديداً) ، وإلى الإعراض باسم الخصوصية الثقافية والنسبية والحق في الاختلاف عن الأسس والنتائج القيمية لأفكار الحداثة والتنوير ، واعتبار التاريخ مفتوحاً على احتمالات متعددة ، ولست مبالغاً إذا قلت أن مفهوم " ما بعد الحداثة " نشأ كرد فعل لحالة القولبة المفاهيمية والنظرية التي سادت المجتمعات، وهي إعلان بعدم استقرار كافة أشكال الخطاب وتوارى المسلمات الثقافية التقليدية الكبرى ، ليحل محلها قيم الخصوصية الثقافية ، والتجاور الثقافي المناهض للتنميط المستعلي (يفرضه مفكرو الغرب على العالم) . ولست أشك في أن قضيتين مهمتين تفرضان نفسهما في إطار التفاعل الحضاري ، هاتين اللتين وصفهما روبرتسون أنهما يندرجان في إطار " البحث عن أسس " وهما القومية والأصولية . إنهما يمثلان في تقديرنا المساهمة الأكبر في الخصوصية الثقافية ، وليست قاصرة على منطقة بعينها في العالم ، وإنما في أكثر من مكان حيث يتنامي لدى الأفراد والجماعات شعور يتعلق بالتراث والهوية والوطن والميراث الحضاري بصفة عامة ، كذلك فليست الأصولية الدينية ترتبط تحديداً بالمناطق الإسلامية ، وإن كانت حددت على هذا النحو ، إلا أنها تنتشر في كل المجتمعات الغربية والشرقية . ومع هذا فقد كانت الأصولية الإسلامية هي موضوع الجدل دائماً ، وفي هذا الصدد يذهب أباظة وستاوث Abazaa & Stauth, 1990 [٢] إلى أن التقييمات الثقافية المستخدمة من قبل الحركات الأصولية الجديدة ، لا يمكن تفسيرها من خلال تحليل تراث الدين الإسلامي وتاريخه . ص٢٢٣ بل يجب بدلاً من ذلك ، أن ينظر إليها على أنها نتاج للتبادل عبر الثقافي ، القائم أصلاً على الفهم الغربي غير الموضوعي للإسلام بوصفه ثقافة الآخر . ولكن البحث عن الأصالة والنمو القومي ليس ظاهرة إسلامية فحسب ، بل هو توجه عالمي . وكلا المفهومين القومية والأصولية يمثلان شكلاً قيمياً موجه لما هو اختلافي ومضاد لما هو حداثي ، ذلك من وجهة نظر مفكري

الغـــرب . وعلى الرغم من هذا القول " مضاد لما هو حداثي "، إلا أن هاتين الحركتين (القومية والأصولية) – من وجهة نظرنا – يمثلان اتجاهاً حديثاً مميزاً ينتمي " لما بعد الحداثة " . وفي إطار من التحديد المقصود عند هنتنجتون (أحد مخططـــي الـــسياسة الاســـتراتيجية الأمريكية) تصبح الحضارات (متمثلة في الأديـــان) هي العنصر المحدد للهوية الجمعية ، متجاوزة الإثنية واللغة والانتماء المذهبـــي والطـــبقة ، وهكـــذا يقال هنتنجتون كثيراً من شأن التمايزات الإثنية واللغـــوية في فضاء حضارة ما . فهو مبدئياً يعتقد أن الدين هو العنصر المشكل والمحـــدد لجوهـــر الحـــضارة ، ولكنه (وبشكل مقصود) يتحدث عن الحضارة الأمـــريكية اللاتينـــية ، والحـــضارة الكاثوليكـــية (الأغلبية الساحقة للأمريكيين اللاتينيـــين كاثوليك) ، وفي المقابل عن الحضارة السلافية – الأرثوذكسية . ثم يعاد الحديث بوصف الحضارة الغربية بأنها ذات طبيعة علمانية . وعلى الرغم مـــن هذا التباين والغموض فإن الدين يحتل حيزاً مركزياً في مفهوم هنتجنتون للحـــضارة . هكـــذا تـــبدو رؤية هنتنجتون عن " صدام الحضارات " تتحدد – اختـــصاراً – في الصراع بين الإسلام والكونفوشوسية من جانب ، والغرب من جانـــب آخـــر (معتمداً على وجود علاقات عسكرية بين الصين وكوريا وبعض دول العالم الإسلامي) . ويذهب هنتجنتون إلى أن الأفكار الغربية في الفيدرالية والليبرالية والالتزام بالدستور وحقوق الإنسان والمساواة والحرية وحكم القانون والفـــصل بـــين الدولـــة والكنيـــسة نادراً ما تلقى صدى في الثقافات الإسلامية والكونفوشوسية واليابانية والهندية والبوذية أو الأرثوذكسية . ومن غير المستبعد أن تسهم رؤية هنتنجتون في تشكيل السياسة الأمريكية في المستقبل على غرار المقال الذي نشره الدبلوماسي الأمريكي جورج كينان George Kennan سنة ١٩٤٦ فـــي نفـــس المجلة التي نشر فيها هنتنجتون مقاله سنة ١٩٩٣ (قبل أن يصدر في كتاب) وهي مجلة Foreign Affairs . وكان مقال كينان هو أساس الاســـتراتيجية الـــسياسية الأمـــريكية والغربية لنصف قرن حين دعا لمحاصرة الاتحاد السوفيتي والحركة الشيوعية بعد الحرب .

وكـــان فوكـــوياما قـــد بشر إثر تفكيك وانهيار الاتحاد السوفيتي بنهاية صراع عصر الإيديولوجيات ، وتوجه العالم نحو نهاية التاريخ بانتصار النموذج

الليبرالي الأمريكي ، معتمداً على رؤية " هيجل " ومستعيراً مقولة " ماركس " عن اكتمال التاريخ عند أعتاب " الماركسية " و" الحتمية الاقتصادية " . وعلى الرغم أن فوكوياما اعتبر أن نهاية التاريخ تعكس مصلحة الليبرالية وقوانين السوق المنسجمة مع السعي الإنساني لتحقيق الذات والمساواة ، إلا أنه ترك هامشاً في التاريخ لصراعات وتوترات في أطراف العالم الليبرالي . وعلينا أن نتوقف للبحث عن الجذور التاريخية والنفسية لهذه الدعاوي الغربية ، ويتحدد ذلك في فلسفتين أساسيتين : الأولى تتعلق بمخاوف وشكوك الغرب من اقتراب النهاية والبحث عن أسطورة خطر تتهدده من الخارج كي يتماسك . أما الثانية فتتمثل في التركيز المستمر على أن الخطر سوف يأتي من الشرق ، وأصبح يزداد تحديداً بالإسلام . والواقع أنه لا يمكن فصل الفلسفتين عن بعضهما ، فكلاهما مكمل للآخر ، فقد تسلل اليأس إلى عقول بعض مفكري الغرب في مراحل التاريخ المختلفة ، حيث نجد " توينبي " في كتاباته عن " دراسة التاريخ " يتساءل عما إذا كانت حضارة الغرب محكوماً عليها – شأنها شأن ما سبقها من حضارات – بالزوال والأفول ، وهو يقول : إذا كان تشابه التاريخ المعاصر للحضارة الغربية والتاريخ القديم للحضارات الأخرى ، يشمل التفاصيل التسلسلية ، فإننا اليوم على حافة هاوية تظهر حيالها الهاوية التي برزت في المجتمعات الغربية خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر كالحفرة البسيطة ، ذلك أن النهايات التي وضعت حداً للفترات المضطربة في التاريخ القديم ، إنما كانت قضاءً مبرماً على حضارات اندثرت نهائياً ولم تنهض ، وفي رأيه أن النزعة العسكرية للدول وأهواء القلة المتحكمة في قرارات الحرب هي التي تدفع بالحضارات إلى الانتحار . ويعتقد " توينبي " أن النزعة العسكرية تهدم الحضارة بإثارتها الصدام بين الدول ، وفي هذا تدمير للذات يستخدم كل البناء الاجتماعي وقوداً لإشعال اللهيب ، إن فن الحرب وحده هو الذي أحرز التقدم على حساب كل فنون السلام ، بل إن كبر الإمكانات العلمية والتصنيعية التي تسخر لتسيير آلة الحرب تدفع بالتاريخ إلى دورة من الحروب تصل إلى الحد الذي يمكن معه تدمير الإنسانية جمعاء .[٣]

إن " توينبـــي " يقر بأن الحضارة الغربية بتعظيمها لتكنولوجيا السلاح يمكن أن تبث الصدام الذي سيؤدي إلى تدمير الحضارة الإنسانية ، ولكن رؤيته تعول كثيراً على سياسات الدول وقرارات الحكام . وربما تتأكد فكرة " توينبي " عن تردي التاريخ بهاتين الحربين العالميتين المدمرتين اللتين وُصم بهما القرن العشرين . ويظهر التوجس الغربي من خطر التقهقر في كتاب " شبنجلر " عن " أفول أو انحطاط الغرب " بسبب تلك الحروب وما نتج عنها من ويلات ، حيث وجد فيها تعبيراً عن انحدار وانحطاط قيم الحضارة الحديثة التي فقدت مضمونها الروحـــي ، وارتكزت إلى الإنتاج المادي الذي أودى بها إلى الشيخوخة والسير نحـــو الزوال . ولم يكن كتاب " جيبون " عن " سقوط الإمبراطورية الرومانية " يخـــتلف فـــي مضمونه عن هذه الكتب . وعلى حين يعتقد البعض أن الإحساس بالخطـــر عند الغرب يرجع إلى النمو الهائل لآلة الحرب وقدراتها التصنيعية ، يـــذهب فريق ثاني إلى تعظيم دور الحكام في بث روح الصدام من أجل أهداف شخـــصية في المقام الأول . ولكن الفريق الثالث يُرجع شعور التوجس والخوف إلى التاريخ الأوروبي ، حيث كانت أوروبا مستهدفه لغزوات كثيرة منذ أكثر من ألف عام . فمن الجنوب جاءهم العرب والمسلمون في غزوات كاسحة لإيبيريا ، وجنوب فرنسا ، وإيطاليا ، بدءاً من القرن الثامن الميلادي ، واستمر تهديدهم مع العثمانيـــين حتـــى منتصف القرن التاسع عشر ، ومن الشمال جاءتهم في القرن العاشـــر هجمـــات الفايكـــنج ومـــا أحدثته من دمار ، وأخيراً من الشرق ومن الأحراش في وسط آسيا جاءتهم الغزوات الآسيوية من القبائل الهنغارية والمغول فاجتاحت شرق أوروبا ووسطها. وهكذا غلب على الغربيين الإحساس بتعرضهم المستمر للخطر من الغير ، ومن ثم الحاجة إلى تميزهم واختلافهم عن الآخرين ، وأخيـــراً نجحوا في فرض سيطرتهم على حضارات كانت تهدد وجودهم في الماضي . ومن هنا كانت ظاهرة القلق والتوجس من زوال هذه الذاتية والتميز ، وبطبـــيعة الحـــال الخوف من فقد هذه السيطرة أيضاً . كذلك فقد لا يخفى على الذهن أن اختيار تعبير " الغرب " كتعريف لهذه الكتلة الحضارية ، إنما يمكن أن يـــشير – في العقل الباطن – إلى الاعتقاد بأن الخطر سوف يأتي من " الشرق " ولعلنا نذكر قصيدة كيبلنج التي يقول فيها :

oh, East is East, and West is West, and Never the twin shall meet .....

فالشرق شرق، والغرب غرب، ومن المستحيل أن يلتقيا .(٤)

وهكذا تبدو صورة الآخر من وجهة نظر الغرب، " الشرق " وتحديداً " العالم الإسلامي " الذي يُنظر إليه – من خلال كثير من الكتابات الغربية – على أنه قوة عالمية متحركة بسبب موجة الإحياء الإسلامي في العقود الثلاثة المنصرمة انطلاقاً من الخصائص الذاتية للإسلام التي تعتمد على ربطه المفترض بين الدين والسياسة ووحدة الأمة الإسلامية وتماسكها كمضمون فوق إثني وقومي. وعلى حين نجد أن بعض مفكري الغرب يعتقدون في أن وجود أمة إسلامية موحدة كان أقرب إلى الأسطورة منه إلى الواقع على الرغم من سعي المسلمين الدائم إلى تحقيق المجتمع الإسلامي الموحد يوماً ما. والحقيقة أن هذين العنصرين : الرغبة في التوحد الإسلامي وعدم الفصل بين الدين والسياسة ساهما في انبعاث الإسلام كطاقة اجتماعية وقوة سياسية، غير أنه لا يمكن تفسير الظاهرة الإسلامية من خلال هذين الخاصيتين الذاتيتين للإسلام دون النظر إلى السياسات الغربية تجاه العالم الإسلامي. إن تفسير الظاهرة الإسلامية لا يتم – في شكله الصحيح – إلا من خلال قراءة جيدة للعناصر الإسلامية وغير الإسلامية .

وتذهب شيرين هنتر Hunter, 2002 (٥) إلى وجود مدرستين لتفسير صعود الحركة الإسلامية :

الاستشراقية الجديدة، والعالم الثالث الجديدة. فأنصار الاستشراقية الجديدة يعزون نشوء الظاهرة الإسلامية إلى خصوصية الإسلام في شكل رئيسي، وليس للديناميات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية للمجتمعات الإسلامية والتحولات الناجمة عن التطور الاقتصادي والتفاعل المتنامي مع العالم الخارجي. ويعتقد أتباع هذه المدرسة أن الظاهرة الإسلامية هي نتاج الخصائص الذاتية للإسلام ولا توافقيتها مع الحداثة، وامتداداً، التغريب. وهم لا يظنون أن الإسلام قادر على التغيير والإصلاح، ولذا يعتقدون أن تقارب الإسلام والأفكار الغربية أو تعايشهما السلمي أمر شبه مستحيل. إذن،

فالمستشرقون الجدد حتميون ثقافيون (ثقافة الإسلام) ، يعتقدون أن المسلمين يفكرون ويتصرفون وفق طرائق معينة لأنهم مسلمون ، وعليه فالمعاني الضمنية لذلك وتأثيراتها في تطور المجتمعات الإسلامية والعلاقات بين العالمين الإسلامي والغربي متشائمة إلى حد كبير . ويعتقد أتباع هذه المدرسة أن الطريقة الوحيدة التي يسع الغرب التعامل بها مع الظاهرة الإسلامية هي المقاومة والقمع والاحتواء ، وينصحون بمساعدة الغرب لتلك الحكومات المسلمة التي تقاوم إسلاميها حتى يُزالوا أو يخضعوا كلياً . وفي المقابل فإن أنصار مدرسة العالم الثالث الجديدة يدركون تماماً أن ثمة خصائص ذاتية محددة للإسلام قدمت الكثير لوثاقة الإسلام وحيويته بوصفه فكرة اجتماعية وسياسية طوال تاريخه ، بالرغم من فترات السبات . ولكنهم لا يعزون انبعاثه الحالي ، في تجلياته المتنوعة ، لهذه الخصائص فحسب ، ولا يعتبرونه غير قابل للتغير والتكيف ، أو غير متوافق مع مفاهيم معينة للإيديولوجية الليبرالية الغربية ، ونتيجة لذلك لا يرون صداماً حتمياً بين الإسلام والعالم الغربي . إنهم يشيرون بدلاً من ذلك إلى المصادر الأولية المتعددة للإسلام وإلى تاريخ التجربة الإسلامية للتدليل على قدرة الإسلام على التغير والتكيف . ويحددون المساحات التوافقية بينه وبين أوجه الإيديولوجية الليبرالية الغربية . وعلى خلاف الاستشراقيين الجدد ، لا يرى هؤلاء الباحثون لا توافقية مطلقة أو حتمية بين الإسلام والديمقراطية ، بل على العكس ، فهم يؤكدون أن مفاهيم إسلامية معينة توفر أساساً ملائماً لرؤية ديمقراطية . وتشمل هذه المفاهيم مفهومي الشورى والبيعة .

وكذلك يرى أنصار مدرسة العالم الثالث الجديدة أن الموجة الأخيرة للانبعاث الإسلامي لا تمثل نتيجة للخصوصيات الإسلامية بقدر ما تعكس مركب من الحرمان الاقتصادي والاستلاب الاجتماعي والحرمان من الحقوق السياسية ، ويراها فرانسوا بورجات Burgat, 1995 كجزء من تقسيم أوسع هو شمال – جنوب ، ويعتبر أن طابعها الراديكالي هو نتيجة حقبة طويلة من استخفاف الشمال الثري بمشكلات الجنوب وطموحاته ، ويرى أيضاً بُعداً ثقافياً لهذه الحركة ، ليس بمعنى الطموح لإسلام خالص ، بل كجهد لتحرير ثقافي ومطلب للاستقلال الثقافي ، وفي الظاهرة الإسلامية ، وفقاً لبورجات ، نشهد الوجه

الثالث لعملية إزالة الاستعمار . فالوجه الأول كان سياسياً حركات الاستقلال . والثانـــي اقتصادياً – مثل تأميم قناة السويس في مصر والنفط في الجزائر ، أما الوجه الأخير فهو ثقافي .[٦]

وعلى عكس الاستشراقيين الجدد ، فإن استراتيجية مدرسة العالم الثالث الجديـدة لا تـؤمن بسياسة العزل والقمع لمنع حدوث صدام بين الغرب والعالم الإسلامي .

وفـــي إطار تقويم هاتين المدرستين ، فإن بعض الباحثين الموضوعيين (من بينهم هنتر Hutner) يعتقدون أن رأي مدرسة العالم الثالث الجديدة يعكس بدقـــة أكبر الحقائق التاريخية والراهنة للعالم الإسلامي . فالإسلام – من وجهة نظـــر هـــؤلاء الباحثـــين (أمثال شيرين هنتر ، جون أسبزيتو ، بورجات ، .. وغيرهم) – نظام اعتقاد وقيم مؤسس إلهياً ، هو بالفعل غير متوافق مع العلمانية المطلقـــة للإيديولوجـــية الليبرالية الغربية التي تدعي أنها خزان الحقيقة الوحيد ومالكـــة المـــصداقية العالمـــية . إلى الحد الذي يرى فيه المستشرقون الجدد لا توافقية بين الإسلام كنظم قيم موحي إلهياً وبين العلمانية الغربية كنظام قيم قائم علـــى أناس أفراد وتصور لحقوقهم في هذا الدور . إن النظامين غير متوافقين واقعـــاً ، وهـــذه هـــي حال جميع نظم القيم والاعتقاد الإلهية الملتزمة ، لذا فإن اســـتثناء المستـــشرقين الجـــدد للإسلام غير مبرر ، ويبين كذلك أن هذا الوجه للإســـلام لا يفسر الظاهرة الإسلامية ولا الأبعاد المعادية للغرب . وناهيك عن كثيـــر من الآراء حول أسباب العداء الإسلامي للغرب مثل تلك التي أشار إليها بـــرنارد لويس Bernard Lewis, 1989 [٧] بقوله أن معاداة المسلمين للغرب تـــرجع في جزء منها إلى شعور الخزى ، والوعي المتنامي بين ورثة حضارة عـــريقة وباعـــثة على الفخر وسادت طويلاً لتخطيهم وقهرهم وسحقهم من قبل أولئك الذين نظروا إليهم باعتبارهم أقل شأناً منهم . ص ١٥٦ أو ما أطلقه لويس ودانـــيال بايـــبس Lewis & Pipes, 1986 من أن الإسلاميين يخافون الثقافة الغربية بسبب جاذبيتها أو " إغرائها المعنوي " [٨].

فـــإن شيرين هنتر Hunter, 2002 (الباحثة الأمريكية) [٩] حاولت أن تـــبحث بموضـــوعية عـــن أسباب العداء بين الإسلام والغرب ، حيث تعتقد أن

الإســـلام هـــو المرشح الأرجح لصدام حضاري مع الغرب ، فهناك عدد من الخصائص في الإسلام ، ولا سيما في سياق مجرد ، تجعله خصماً مثالياً :

(١) الإســـلام دين مجتمعي ، ويقدم في بنيته ، إن لم يكن دائماً في ممارسته ، مجمـــوعة من القواعد القانونية والأخلاقية، التي تتسم بالشمول والتماسك الداخلي، لتنظيم الحياة الجماعية والفردية ، وهو يتوق لأن يصبح المكون الأساســـي للهـــوية الذاتـــية للمسلمين ، وهو الديانة العالمية الوحيدة ، إلى جانب المسيحية ، التي اخترقت القارات والقوميات والمجموعات الإثنية ، ولا يـــبدو أن أحـــداً من المرشحين الآخرين للقيام بدور الخصم للغرب – كالكونفوشوســـية – يضارع الإسلام كنظام معتقدات وقيم وكمرشد لتنظيم اجتماعي سياسي ، وذلك لشدة غموضهم وتخلخل بنياتهم .

(٢) الإســـلام دين دعوة وهداية يؤمن بنصره النهائي وغلبته الكونية بصرف النظر عن صعوبة المسير . وهذه النزعة في طبيعة وجود الإسلام ، إذا ما سحبت إلى نهايتها المنطقية ، قد تجعل منه تحدياً جدياً لوعي الغرب بتفوقه الحـــضاري وإيمانه بنصره النهائي ، حتى لو كان الإسلام في حال سبات ومجرد من الفاعلية السياسية .

(٣) كـــان الإســـلام ، ولأكثر من ألف سنة خلت ، العدو الرئيسي و" الآخر " المعـــادي للغرب . وبهذه الذاكرة الثقافية الشديدة الرسوخ لن يكون مفاجئاً استحـــضار ، فـــي حال صدور أي تحد من قبل العالم الإسلامي ، صور الأعـــداء علـــى الأبـــواب ، والتي لم تنس بعد ، وإيقاظ مخاوف تكرارها مجدداً .

(٤) الإســـلام ذو الثقل التاريخي هو المرشح المثالي لصورة العدو الجديد الذي سيملأ الفراغ الناجم عن سقوط الشيوعية ، هذا الميل لرؤية الإسلام كعدو يتعزز بالادعاء أن خصوصيته وفرادته – ولاسيما الارتباط بين الروحي الزمنـــي – وحتمية تحققهما على أرض الواقع يجعل الإسلام عصياً على التغيير ويعرف دائماً بالإطروحة النقيض للعلمانية الغربية .

ولـــيس مـــن شـــك أن هنتر اقتربت كثيراً من واقع العلاقة بين الإسلام والغرب ، وربما يخفف من حدة التشاؤم حول حقيقة الصدام بينهما، أن الإسلام

ديــن وثقافــة، ولــيس حقيقة جغرافية وسياسية فحسب، فالإسلام ينتشر عبر جغرافيا العالم كله، ويتوافق ويتعايش مع نظم سياسية وثقافات عديدة على امتداد المعمورة. لكن ثمة بعدين أساسيين – لا يندرجان ضمن الإيديولوجية – ولكنهما من المنتظر أن يؤثران في طبيعة هذه العلاقة :

أولهما : أن الإسلام – ولأسباب جغرافية وتاريخية وجيولوجية – جــزء لــه أهميته الاستراتيجية على خريطة العالم، حيث يوجد النفط والغــاز الــذي تعــتمد علــيه الــدول الصناعية الكبرى في نهضتها التكنولوجــية والعسكرية، ولا يغيب عن أذهاننا ما قاله زعماء الغرب إبان حرب الخليج (٩٠-١٩٩١) أنها تهدف إلى معاقبة العدوان وإعادة الديمقــراطية إلى الكويت، فضلاً عن ضمان أمن حقول النفط العربية، وفــسروا التــنافس علــى النفوذ في الدول الإسلامية بحفظ ونشر قيم الليبــرالية الغــربية علاوة على تأمين التزود بالنفط بالسعر المناسب، وهكــذا يبدو التزاوج بين الإيديولوجيا المعاصرة والفلسفة الاقتصادية للاستعمار (بمنظوره التقليدي) .

ثانــيهما : وعلــى جانــب الزعم الغربي بالتهديد الإسلامي، فإن المسلمين، يشعرون بأنهم مهددون من الغرب أيضاً وذكريات المسلمين عن الهيمنة الغربية أحدث – من خلال الحملات الاستعمارية وذيولها في فلسطين مثلاً – ولذا فهي أعظم حضوراً من حصار فيينا، كما أن المسلمين لديهم قلق وتوجس من خفوت حضارتهم ذات التاريخ الممتد أمــام ما وصفه برنارد لويس " بالإغراء المعنوي " للحضارة الغربية. وإن كــان بعض الباحثين يعتقد أن مقولة " الإغراء المعنوي " للغرب مبالغ فيها بدرجة كبيرة. وعلى العكس فإن التحرر الإسلامي من سحر الثقافة الغربية هو الذي أفضى إلى الظاهرة الإسلامية. وتعتقد هنتر أنه مــنذ أواخــر الستينيات وحتى السبعينيات من القرن العشرين، كانت جاذبــية الغرب كنموذج أخلاقي ومعنوي بالنسبة للمسلمين في انحسار مــستمر. فانتــشار الإيدز وتزايد عد الأطفال غير الشرعيين، وتفكك الأســرة والمجــتمع، كانــت جميعها مسئولة إلى حدٍ ما عن فقــدان

الإغواء هذا . والخوف من التلوث الثقافي لم يقتصر على الإسلاميين فقط ، فالعديد من المسلمين العلمانيين الذين يكنون تقديراً شديداً للمظاهر الأفضل للحضارة الغربية – ولاسيما مؤسساتها السياسية وديناميتها الاقتصادية وإنجازاتها العلمية – لا يفضلون تذويب ثقافتهم المحلية واستبدالها بتقليد رديء للمظاهر الأسوأ للثقافة الشعبية الغربية.(١٠)

وخلاصة القول إن مشاعر معاداة الإسلاميين للغرب نتجت من مصادر متعددة وأكثر تعقيداً : التراث الاستعماري والسيطرة الغربية على النظم السياسية والاقتصادية الدولية التي تمارس تمييزاً ضد الدول الأضعف ، والدعم الغربي لحكومات البلدان الإسلامية المُذعنة للغرب ، والتطبيق الانتقائي والتمييزي للقوانين والمبادئ الدولية ، بما فيها حالات استخدام حقوق الإنسان . فبالنسبة لكثير من المسلمين (والعرب خاصة) كان الدعم الغربي لإسرائيل ، ولاسيما الولايات المتحدة ، السبب الرئيسي في عدائهم للغرب . إن سياسات غربية محددة مقرونة باختلال التوازن الشامل في علاقات القوة بين الغرب والعالم الإسلامي مسئولان بدرجة أكبر عن الحجم الذي بلغته معاداة الغرب في تفكير الإسلاميين وتصرفاتهم من مسئولية اللاتوفقية الحضارية التي أبدعها الاستشراقيون الجدد ومن الأهمية أن نتتبع بدايات الحديث عن فكر " الصراع " أو " الصدام " بـ حضارات ، والذي يمكن إرجاعه إلى " النازية " الألمانية ، حيث دخل لفظ الصراع إلى القاموس السياسي بمعنى الصراع الثقافي والحضاري . وبعد كتاب داوسان Dawsan, 1957 تحت عنوان :
"The Dynamics of World History" أول الكتب التي أدخلت هذا المصطلح واستخدمته بمعناه الجديد . وخلال حقبة الأربعينيات والخمسينيات سادت نظريات عديدة تتحدث عن فكرة الصراع بين الطبقات حيناً (مثل الماركسية) والدول حيناً آخر (مثل توينبي) .

وفـــي شهري فبراير ومارس سنة ١٩٤٧ ألقى أرنولد توينبي في كلية بـــرين مور محاضرته الشهيرة تحت عنوان " الصراع بين الحضارات " نشرت فـــي مجلـــة هاربـــر (عـــدد أبريل ١٩٤٧) ثم ضمنها كتابه الشهير فيما بعد " الحـــضارة فـــي الميـــزان Civilization on Trial " [١١] ويمثل هذا الكتاب المـــصدر الأساســـي لأفكـــار هنتنجتون عن " صدام الحضارات " . ووفقاً لما سنعرضـــه مـــن آراء أرنـــولد توينبي سندرك جلياً إلى أي مدى كانت مصدراً لنظـــرية صـــدام الحضارات التي أعلنها هنتنجتون . فتوينبي يعتبر أن الحادثة الكبـــرى والأهم في القرن العشرين ، والتي سيقف عندها المؤرخون كثيراً في القرون القادمة هي حادثة اصطدام الحضارة الغربية بسائر المجتمعات الأخرى القائمـــة في العالم . وتتبع أهمية هذا الحدث في رأيه من أنه كان الخطة الأولى نحو توحيد العالم في مجتمع واحد ، وذلك عن طريق تحطيم التراث الاجتماعي الإقليمي للحضارات الأخرى عند اصطدامها بالتراث الاجتماعي الغربي .[١٢]

وهكـــذا نلمـــح هـــذه الأفكـــار عن تقسيم العالم إلى حضارات مختلفة ومتصارعة في صياغة جديدة عند " هنتنجتون " ، ثم انتصار الليبرالية الغربية وســـيادتها على جميع المجتمعات في نهاية التاريخ عند " فوكوياما " . ثم يعود توينبـــي ليضع الدين ركيزة أساسية في صراع الحضارات حينما يقول : إننا لا نـــزال فـــي الفـــصل الأول من قصة صراعنا مع حضارات المكسيك والبيرو والمسيحية الأرثوذكسية والإسلام والعالم الهندوسي والشرق الأقصى .[١٣]

فما أشبه اليوم بالبارحة ، وما أشبه هنتجنتون وفوكوياما بتوينبي ، إنها عقيدة غربية لا مناص منها . وبعد عودة أفكار الصدام الحضاري من جديد على يد مفكرين أمثال هنتنجتون وفوكوياما ، ظهرت مجموعة من الكتب تحاول تفنيد هذه الدعاوي الداعية إلى العداء والكراهية نذكر منها جون سبوسيتو Esposito, 1993 فـــي كتابه " التهديد الإسلامي : أسطورة أم حقيقة " وكتاب فريد هاليداي Halliday, 1996 " الإســـلام وخـــرافة المواجهة " وجراهام فوللر Fuller, 1995 وشـــيرين هنتـــر Hunter, 2002 وغيـــرهم ممن شككوا في فرضيات احتمال الصدام بين الإسلام والغرب . كذلك صدر هذا النقد من بعض المفكرين المسلمين أمثال إدوارد سعيد وراشد الغنوشي والسيد يس~ ومحمد السماك وأحمد بـــن يوســـف ومهـــدي بازركـــان وسيد حسين نصر وعبد الكريم سروسن .. وغيرهم.

ومـــن الآراء الغـــربية الجديرة بالاهتمام ، رؤية روجيه جارودي في كـــتابه " في سبيل الحوار بين الحضارات " فقد جاءت رؤيته رداً على دعاوي الهيمـــنة الغـــربية على الثقافات الأخرى ، مانعة بذلك الحضارات الأخرى من التعبيـــر عن تقاليدها والحفاظ على ثقافتها الخاصة . إن جارودي يحاول كشف الوهم المتردي للغرب بأنه كان المبدع الوحيد للقيم الإنسانية في حين أنه مجرد شـــبه جزيـــرة ممـــتدة مـــن قـــارة آسيا ووسيط متواضع في آلاف السنين من الحـــضارات الإنـــسانية المتصلة . إن جاردوي يعتبر أن حوار الحضارات هو مـــشروع على مستوى كوكب الأرض كله ، من أجل ابتداع المستقبل ومن أجل ابتكار مستقبل الجميع بمشاركة الجميع ، إنه يرى أن اللقاء بين الحضارات قد تم لكـــن علـــى قاعدة الفتح والغزو والاستعمار . إن حوار اليوم المنشود ضرورة أكثـــر مـــن أي وقت مضى، وذلك لتشييد علاقات جديدة مع العالم ومع الناس الآخرين ومع مستقبلنا المشترك.(١٤)

غيـــر إنـــه من المهم الإشارة إلى أن الدعوة إلى " حوار الحضارات " ليست البديل المطروح أو الرد على دعوة " صدام الحضارات " التي انطلقت من الغـــرب ، وليس ماصكه المستشرق " برنارد لويس " حول حتمية الصراع بين الإســـلام والغرب (في مجلة The Atlantic Monthly سبتمبر ١٩٩٠) يمثل مقـــرراً وآلـــية للعمـــل ، ذلـــك أن فكرة " الحوار بين الحضارات ونبذ الصدام والـــصراع " ينبغي أن ينظر إليها كضرورة إنسانية ، وليست كردة فعل انفعالية متوارية وراء حاجز الضعف والتشرذم في العالم الإسلامي . ومما يؤكد رؤيتنا " لحوار الحضارات كضرورة إنسانية " انطلاق العديد من المبادرات الداعية إلى الحوار سواء من قبل المنظمات الدولية والإقليمية أو الشخصيات العالمية غربية كانت أم شرقية .

أولا : على مستوى المنظمات الدولية والإقليمية :

١ – الأمم المتحدة :

أ – شـــهدت الدورة ٥٣ للجمعية العامة للأمم المتحدة مناقشات حول موضوع حوار الحضارات ، ففي كلمته أمام الجمعية العامة يوم ١٩٩٨/٩/٢١ ذكر الـــرئيس الأمريكـــي بيل كلينتون أنه يؤمن بخطأ الادعاء بأن هناك صدام

حتمي بين الحضارة الغربية وقيمها والحضارة الإسلامية وقيمها ، وأشاد إلـــى أن ربع تعداد سكان العالم من المسلمين وأن هناك ٦ مليون مسلم في الولايات المتحدة يشهدون بعدم وجود صدام بين الإسلام والولايات المتحدة التي يحترم شعبها الإسلام ويقدره ، وأكد الرئيس كلينتون على الاستمرار فـــي طـــريق الصداقة والاحترام مع العالم الإسلامي وأن الولايات المتحدة ستـــستمر فـــي الـــبحث عن القيم والمصالح والجهود المشتركة مع العالم الإسلامي .

ب – وفـــي كلمـــته في نفس اليوم أمام الجمعية العامة اقترح الرئيس الإيراني / محمَّد خاتمي إعلان الأمم المتحدة لعام ٢٠٠١ عام الحوار بين الحضارات على أمل أن يفضي هذا الحوار إلى تحقيق الحرية والعدل في العالم ، وأكد الـــرئيس الإيراني على أنه إذا ما كرست الإنسانية جهودها لتأسيس الحوار وإحـــلال النقاش والتفهم محل العدوانية والمواجهة فإن ذلك سيترك ميراثاً لمصلحة الأجيال القادمة .

ج – بعث المندوب الإيراني الدائم لدى الأمم المتحدة برسالة إلى رئيس الجمعية العامـــة فـــي ١٩٩٨/١٠/٥ يطلـــب فيها إدراج بند إضافي جديد بعنوان " الحوار بين الحضارات " على جدول أعمال الدورة الحالية للجمعية العامة، وقـــد وافقت الجمعية العامة في ١٩٩٨/١٠/٢٨ على توصية اللجنة العامة بإدراج البند الذي اقترحته إيران .

د – سيتم في الفترة القادمة تحديد ميعاد لمناقشة بند الحوار بين الحضارات في جلـــسة عامـــة للجمعية العامة ، وفي تقدير السيد الوزير مفوض / سليمان عـــواد نائـــب مساعد الوزير للشئون السياسية الدولية أنه يجب الاستعداد لـــصياغة البـــيان المـــصري حـــول الموضوع ليكون بياناً شاملاً وجامعاً للتوجهات المصرية تجاه الحوار بين الحضارات وبين الأديان .

هـــ – اقتـــرحت إيـــران أيـــضاً مشروع قرار لاعتماده حول موضوع حوار الحضارات يدعو إلى الآتي :

- إعلان عام ٢٠٠١ عاماً للأمم المتحدة للحوار بين الحضارات .

- دعـوة الحكـومات والمنظمات الدولية وغير الحكومية لتنظيم مؤتمرات وندوات ونشر معلومات في هذا الخصوص .
- مطالـبة السكرتير العام للأمم المتحدة بتقديم تقريراً مؤقتاً للجمعية العامة في دورتها رقم ٥٤ عن الأنشطة في هذا المجال، على أن يقدم تقريراً نهائياً للجمعية العامة في دورتها رقم ٥٥ .

و- يـرى الـسيد الوزيـر مفوض / سليمان عواد مساعد الوزير للشئون الـسياسية الدولـية أن مـشروع القرار الإيراني لن يواجه في الغالب معارضة لأنه جاء متوازناً ويتفق مع موقف حركة عدم الانحياز، كما أنه يتفق مع التوجه المصري العام .

ز- سـيترتب علـى تبني مشروع القرار الإيراني - إذا ما حدث - زيادة كمـية فـي المناسـبات والمؤتمرات والندوات التي ستناقش مواضيع الحـوار بين الحضارات والأديان في المحافل المختلفة وتتفق الشئون الثقافية العامة والدينية مع ما يراه السيد نائب المساعد للشئون السياسية الدولية من أهمية النظر لتعدد المبادرات والمحافل الخاصة بالحوار بين الحضارات والأديان على أنها منظومة وعمل جماعي يصب في إطار توافـق رأي المجتمع الدولي على تشجيع الحوار بين الحضارات بما يـدعم السلام والتسامح والتعاون بين الشعوب، ويقتضي ما تقدَّم سعي مصر للمشاركة في كافة المحافل والمناسبات المعنية .

٢ - اليونسكو :

أ-نـشط اليونـسكو منذ عام ١٩٤٩ في تدعيم الحوار بين الحضارات فقد أعـدت لجـنة للخبـراء في نوفمبر ١٩٤٩ تقريراً عن الدراسات المقارنة للحـضارات، وحدد التقرير أهداف الحوار بين الحضارات ودور اليونسكو فـيه، وقـد عقدت في الخمسينيات ثلاثة اجتماعات دولية هامة بتمويل من اليونسكو هي:

- الاجتماع الفكري في ساوباولو - أغسطس ١٩٥٤ .
- مؤتمر العالم الجديد وأوروبا في جنيف - سبتمبر ١٩٥٤ .

- مؤتمر أوروبا والعالم اليوم في جنيف – ١٩٥٧ .

ب – تبنـــي اليونـــسكو بعـــد ذلك مشروع الفهم المتبادل للقيم الحضارية للشرق والغرب في الفترة من عام ١٩٥٧ إلى عام ١٩٦٦ ، والذي انتهى بالتوصل لإعلان المبادئ للتعاون الثقافي الدولي عام ١٩٦٦ .

ج – أقـــر المؤتمـــر العـــام لليونسكو (الدورة ٢٦) في نوفمبر ١٩٩١ مشروعاً دراسياً بعنوان طرق الإيمان Roads of Faith ، وتم عقد عدد من لقاءات الخبـــراء في هذا الإطار شارك فيها علماء وخبراء من مصر ، ومن تلك الاجتماعات :

(١) اجتماع برشلونة (١٢ – ١٨ ديسمبر ١٩٩٤) ، وشارك فيه الدكتور / محمود حمدي زقزوق (وزير الأوقاف الحالي) باعتباره أستاذاً في كلية أصـــول الـــدين آنـــذاك ، وقد صدر عن الاجتماع إعلان حول " دور الأديان في دعم ثقافة السلام " .

(٢) اجـــتماع الـــرباط (٢٣ – ٢٥ يونـــية ١٩٩٥) ، وقد ضم ممثلين عن الديانات السماوية الثلاثة ، ولم يشارك فيه ممثلين عن مصر ، وصدر عنه وثيقة تعرف باسم مقترحات الرباط The Rabat Proposals .

(٣) اجـــتماع فاليـــتا (٢٠-٢٢ يونيه ١٩٩٧) ، وضم الاجتماع ممثلين عن البوذية والهندوكية والسيخ إلى جانب ممثلي الديانات السماوية الثلاثة ، وقد صدر عنه ما يسمى بإعلان مالطا .

(٤) نـــدوة الرباط (١٦ فبراير ١٩٩٨) ، ونظمتها اليونسكو تحت عنوان " الحوار بين الأديان التوحيدية الثلاثة : نحو ثقافة السلام " وشارك فيها الشيخ فوزي فاضل الزفزاف وكيل جامعة الأزهر ورئيس لجنة حوار الأديـــان الـــسماوية بالأزهر (مرفق رقم ٥ الإعلان الصادر عن ندوة الرباط) .

د – شـــكل اليونـــسكو عام ١٩٩٣ لجنة برئاسة خافيير دي كويلار باسم اللجنة العالمية للثقافة والتنمية والتي أصدرت تقريراً عام ١٩٩٥ بعنوان " التنوع البشري الخلاق " والذي أشار إلى وجود أخلاق عالمية وتعددية ثقافية ودعا للـــربط بـــين الـــثقافة والتنمـــية ، وقد عقد اليونسكو مؤتمراً حكومياً في

استوكهولم (٣٠ مارس – ٢ أبريل ١٩٩٨) حول السياسات الثقافية من أجل التنمية .

هـ – أصدر المؤتمر العام لليونسكو في أكتوبر ١٩٩٥ قراراً بضرورة النهوض بثقافة السلام باعتبارها ثقافة تعايش تنبذ العنف وتتمسك بتجنب الصراعات في منابعها وبحل المشاكل عبر الحوار ، وقد عقد في هذا الإطار وتحت رعاية اليونسكو مؤتمر للحوار بين الأديان التوحيدية الثلاثة نحو ثقافة السلام وذلك في الرباط في ١٩٩٨/٢/١٦ (البند ٤ عاليه) وقد دعا المؤتمر منظمة اليونسكو إلى وضع الآليات الملائمة لمواكبة وتدعيم مبادرات الحوار بين الأديان الإبراهيمية حول ثقافة السلام .

٣ – منظمة المؤتمر الإسلامي :

شكلت منظمة المؤتمر الإسلامي فريق خبراء حكوميين ، بدأ عمله منذ فبراير ٢٠٠٠ ، حيث صدر في مايو ١٩٩٩ إعلان طهران للحوار بين الحضارات الخاص بمنظمة المؤتمر الإسلامي وأنهى عمله في سبتمبر ٢٠٠٠ بتقرير تضمن برنامج عمل تنفيذي .

وقد أكد هذا البرنامج الذي أقره الخبراء الحكوميون وحدة البشر ومسئوليتهم المشتركة عن إعمار الأرض وإشاعة العدل والسلام بها ، ودور كافة الشعوب والحكومات والمنظمات الدولية والمنظمات غير الحكومية في نشر روح التفاعل والتواصل والترويج لثقافة الحوار والتسامح باعتبار ذلك البديل الوحيد للمواجهة والصراع وثقافة الانفراد واستعباد الآخرين . كما أن من شأن الحوار تسهيل تبادل المعارف والخبرات فيما بين الحضارات في التعامل مع مختلف المشكلات وتجنب تكرار الأخطاء . وعكس البرنامج وعياً بالتحولات الناتجة عن ثورة المعلومات والاتصالات وظاهرة العولمة وتأثيرها على العلاقات الدولية وما أدت إليه من سقوط للحواجز في ميادين التجارة والاقتصاد وتبادل السلع والخدمات وحركتها على النطاق العالمي ، بالإضافة إلى تأثيرها على الثقافات والقيم الإنسانية ، وإدراك أن هذه الآثار تنقسم إلى ما هو إيجابي يخدم قضايا العدل والسلام والمساواة ، وما هو سلبي يحتاج إلى علاج جماعي.

ودعـا بـرنامج العمـل التنفيذي للخبراء الحكوميين لعقد لقاءات بين المتخصـصين في الحكومات ومنظمات المجتمعات المدني من مختلف الثقافات وتـشكيل لجـان مشتركة فيما بينهم لإشاعة الإيمان الحقيقي بالتعددية بديلاً عن الهيمنة في المجال الدولي بما يترجم التنوع الإنساني والمساواة في الحقوق بين جمـيع الشعوب والأمم ، وضرورة أن ينعكس ذلك في شكل المشاركة في صنع القرارات داخل الدول وعلى المستوى الدولي لتحقيق المصالح الجماعية والأمن المـشترك ، وتثبـيت مبدأ العدل محلياً ودولياً كضمان للاستقرار ، بما في ذلك إعادة النظر في الإطار القانوني والسياسي الدولي القائم في إطار الأمم المتحدة ليكون أصدق تمثيلاً وفاعلية وأسرع استجابة لمواجهة الأزمات الإنسانية وإقرار معايير متفق عليها لهذه الاستجابة ، وتبادل المعلومات والخبرات حول سبل دعم وحمايـة حقـوق الإنـسان على المستوى العالمي وحول إرساء مبادئ الشفافية والعلانية والمسئولية والخضوع للقانون في الحكم وأجهزته المختلفة . ولم يغفل برنامج العمل التنفيذي أهمية وضع تصور لنظام أمني عالمي جديد يضمن إزالة أسلحة الدمار الشامل وبناء مؤسسات تزرع الثقة في مجالات الأمن والتسلح .

وعلى الصعيد الثقافي ، دعا برنامج العمل التنفيذي إلى تشجيع السياحة الثقافـية للتعـرف المباشـر على ثقافة الآخرين وتعريفهم بالثقافة الإسلامية ، واكتشاف ما هو مشترك بين الثقافات المختلفة دون المساس بالخصوصية الثقافية لكـل شعب ، وإدماج ثقافة الحوار في المناهج الدراسية وتخليصها من مظاهر التعـريض أو التحريض على الثقافات الأخرى وتشويهها . وترويج المؤسسات الثقافية الحكومية والخاصة لثقافة الحوار والتسامح والاعتراف بالتعددية الثقافية، مـع تـبادل الزيارات بين الفرق الفنية وتنظيم مهرجانات ثقافية دورية ، وعقد دورات رياضـية ومنافـسات علمـية واستثمار ظاهرة الهجرة الجماعية لأبناء الـثقافة الواحدة إلى دول أخرى لإيجاد جسور تواصل ثقافي مع ما يستتبعه ذلك مـن التعـريف بحقوق الأقليات الثقافية وحمايتها بما يضمن لأفرادها الاحتفاظ بهويـتهم الثقافـية ويحقق التوازن بين اندماجهم بالمجتمعات التي استقروا فيها ومواجهة ذوبانهم في ثقافة تلك المجتمعات . وشجع البرنامج تبادل الخبرات في مجـال محـو الأمـية لتحقيق امتداد الثقافة من النخبة إلى الجماهير بما يضمن

مشاركتها في الحياة العامة ، مع تيسير تعلم اللغات المختلفة ، خاصة تلك التي جـرى تهميـشها وما يتصل بذلك من تنشيط حركة الترجمة لأهم المؤلفات عن الـثقافات المختلفة والحث على التوأمة بين الجامعات في مختلف البلدان لتوثيق الصلات الإنسانية والعلمية بين العلماء والباحثين .

وتـبدي الموقف الإيجابي لمنظمة المؤتمر الإسلامي من جهة الانخراط فـي موضـوع حوار الحضارات بشكل فعَّال مرة أخرى عبر تناول الاجتماع الـوزاري لـوزراء خارجـية الدول أعضاء المنظمة في دورته الـ ٢٨ التي انعقدت في باماكو من ٢٥ إلى ٢٧ يونيو ٢٠٠١ ، حيث أصدر الاجتماع قراراً يـؤكد علـى أن الحضارة الإسلامية تقوم على مبادئ التعايش السلمي والتعاون والـتفاهم المتبادل والتحاور البناء مع الحضارات والأديان الأخرى على أسس التـسامح والعدل والسلام . واعتبر القرار أن الحضارة ليست حكراً على الدول القوية أو إحداها وأن المعجزات الحضارية تمثل إرثاً جماعياً للبشر وأن العولمة تشكل تحدياً يستدعي التكافل البشري والتنوع الثقافي ، ورأى في الحوار وسيلة لتعمـيق الوعـي بالقيم المشتركة بين الشعوب . وعبر القرار عن التقدير لدور إيـران فـي مجـال طرح مبادرة حوار الحضارات . وأبدى وزراء الخارجية لمـنظمة المؤتمـرات الإسلامي حرصهم على مشاركة لجنة خاصة من الدول أعضاء المنظمة (لجنة العشرة) في التفاوض مع المجموعات الجغرافية الأخرى بـالأمم المـتحدة وطالـب الوزراء المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الاسيسكو) بإصدار كتاب أبيض وثائقي باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية يـضم كافة وثائق حوار الحضارات بالتعاون مع مركز الحوار بين الحضارات بطهران .

وجاء الاجتماع الوزاري الاستثنائي لمنظمة المؤتمر الإسلامي بالدوحة فـي ٨ و٩ أكتوبر ٢٠٠١ تأكيداً لذلك . وبالرغم من أن جدول أعمال الاجتماع شـمل أحداث ١١ سبتمبر في الولايات المتحدة وتداعياتها وتأثيراتها على العالم الإسـلامي ، وأيضاً الأوضاع في الأراضي الفلسطينية المحتلة ، فإن حيزاً هاماً مـن البـيان الختامي للاجتماع تصدى لقضايا ذات صلة بحوار الحضارات . وتضمن ذلك التذكير بدور الحضارة الإسلامية في إثراء مسيرة البشرية وبالقيم

الأساسية لتلك الحضارة من قبول بالآخر وانفتاح عليه واستعداد للتعاون معه والإدانة الصريحة للهجمات التي تعرضت الولايات المتحدة لها في ١١ سبتمبر ٢٠٠١ باعتبارها منافية لقيم الإسلام السامية والمتسامحة ، والتحذير في ذات الوقت بقوة مما ظهر من حالات اعتداء وتمييز وتقييد لحريات وحقوق الجاليات الإسلامية المقيمة في العالم غير الإسلامي ، وربط موضوع حوار الحضارات أيضاً بضرورة تحقيق السلام الشامل والعادل والدائم بين إسرائيل والأطراف العربية على أساس قراري مجلس الأمن ٢٤٢ و٣٣٨ ومبدأ الأرض مقابل السلام والانسحاب من الأراضي المحتلة في يونيو ١٩٦٧ وفي لبنان (في إشارة إلى مزارع شبعا) وتمكين الشعب الفلسطيني من ممارسة حقه في تقرير مصيره وإقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس ، وإنهاء ازدواجية المعايير في العلاقات الدولية ، والتي تمارس بشكل خاص ضد الدول الإسلامية ، ورفض التعرض للمدنيين في الحرب التي كانت الولايات المتحدة قد بدأتها قبل المؤتمر بيومين ضد تنظيم القاعدة وحركة الطالبان في أفغانستان ، وأيضاً رفض امتداد الحرب لبلدان إسلامية أخرى . وتزامن ذلك مع حث على الحوار مع الغرب على المستويات السياسية والأكاديمية والإعلامية ، خاصة مع القوى المتعاطفة مع الحضارة الإسلامية والمتفهمة لها على أساس احترام الآخر وضرورة ألا تتحول العولمة إلى حضارة واحدة تفرض هيمنتها على بقية الحضارات ، مع ضرورة أن يتم الحوار في إطار الأمم المتحدة كأساس وضرورة التزام وسائل الإعلام في الغرب الموضوعية عند تناول الإسلام والمسلمين وحضارتهم .

أما المرحلة الأخيرة والأكثر تقدماً في مواقف منظمة المؤتمر الإسلامي فكانت تقديم المجموعة الإسلامية لدى الأمم المتحدة في نيويورك لمشروع قرار خاص بالحوار بين الحضارات للعرض على الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الخاصة المكرسة لهذا الشأن والتي كان مقرراً لها ٣ و٤ديسمبر ٢٠٠١، وتم تبكيرها في ضوء أحداث ١١ سبتمبر لتصبح يومي ٨ و٩ نوفمبر ٢٠٠١. وسنتوقف بقدر من التفصيل أمام مشروع القرار هذا نظراً لشمولية تناوله ودخوله في تفصيلات الأمور . وتضمن مشروع القرار هذا ثلاثة أجزاء : الديباجة ، الأهداف والمبادئ المشتركة ، وبرنامج العمل .

وشملت فقرات الديباجة إعادة تأكيد مقاصد ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة لتطوير علاقات صداقة فيما بين الأمم تقوم على احترام الحقوق المتساوية للشعوب وحقها في تقرير المصير ، وأهداف تعزيز السلم والتعاون الدوليين لحل المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الدولية ، ولتشجيع احترام حقوق الإنسان بدون تمييز بسبب العرق أو الجنس أو اللون أو الدين ، وأشارت الديباجة إلى ضرورة التزام كافة دول العالم بالامتناع عن استخدام لقوة أو التهديد بها في العلاقات الدولية ضد السلامة الإقليمية أو الاستقلال السياسي لأي دولة بما لا يتفق مع أهداف الأمم المتحدة ، والتزام الدول أيضاً بتنفيذ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان باعتباره معياراً مشتركاً لكافة الشعوب والأمم وكمصدر للمزيد من تعزيز وحماية حقوق الإنسان السياسية والاجتماعية والاقتصادية والمدنية والثقافية ، بما فيها الحق في التنمية . وأوضحت فقرات الديباجة أن كافة الحضارات تؤكد وحدة وتنوع البشرية في آن واحد ، وأن إثراء هذه الحضارات جاء عبر الحوار مع الحضارات الأخرى ، وأنه بالرغم من عوائق التعصب والعدوان فإن التفاعل الإيجابي عبر التاريخ كان السمة المميزة للعلاقة فيما بين الحضارات مع تأكيد أن الإنسانية الواحدة تجمع كل الحضارات وبالتالي فإن إنجازات هذه الحضارات هي إرث مشترك للبشرية .[١٥]

٤ - المنظمة الفرانكفونية الدولية :

في إطار إعدادها للقمة الفرانكفونية التي كان من المفترض عقدها في بيروت في نهاية أكتوبر ٢٠٠١ ، ثم تأجلت نتيجة أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ إلى أكتوبر ٢٠٠٢ بشكل مبدئي ، صاغت الدول أعضاء المنظمة الفرانكفونية الدولية مشروع إعلان وبرنامج عمل ركز بشكل كامل على حوار الحضارات والثقافات، وجاء الطرح الأصلي للمشروعين من وفد لبنان الدولة المستضيفة للقمة بعد التشاور مع الدول المعنية الأخرى .

وقد أكد مشروع الإعلان وبرنامج العمل على قيم التسامح والمساواة ، برغم الخلافات فيما بين الثقافات ، والاتفاق على قيم مشتركة ، والتعاون عبر عملية إثراء متبادل فيما بين الثقافات ، وإبراز أن الحوار بين الثقافات يجب أن يكون يومياً ومنتظماً ويشمل النخبة والشعوب على حد سواء ، وكشف عن

الأهمية التي توليها الفرانكفونية للتعددية الثقافية عالمياً وفي إطار الفرانكفونية، وارتباط ذلك بعملية العولمة، مع عدم قبول مفهوم " الاستثناء الثقافي " كمعيار للانعزال عن العالمية وإنما للقبول بالتنوع الثقافي، وحذر مشروع البيان من استغلال العولمة لفرض الهيمنة على قواعد الشرعية الدولية أو السعي لتوحيد النظام القيمي العالمي، ودعا لبديل حوار الثقافات لبناء توافق دولي حول المعايير الحاكمة للعلاقات الدولية ولتجنب المنهج الانتقائي في الحديث عن الحقوق والواجبات، مع إشارة خاصة إلى ما يحدث في الشرق الأوسط، ولابد أن يهدف حوار الثقافات إلى دمقرطة العولمة (أي جعلها ديمقراطية) بدلاً من السماح للعولمة بالانحراف بالديمقراطية .

وأشار مشروع البيان وبرنامج العمل إلى ظاهرة الهجرة الدولية وأثرها على التوتر فيما بين الهويات المختلفة، ودعا لبناء مجتمعات ذات هوية متعددة لا تستبعد إحداها الأخرى، كما أشار إلى تضاعف الصراعات فيما بين وداخل الدول بعد انتهاء الحرب الباردة، وارتباط ذلك بحروب الهويات والثقافات، وأوضح مشروع البيان التحديات العالمية التي تواجهها البشرية مثل التوازن البيئي والأوبئة والجريمة المنظمة مما يحتاج لتعاون كافة الدول مما يحد من مفهوم " السيادة "، وهي فكرة غير واضحة بمشروع الإعلان وتتميز بمخاطر في ضوء ما يتم الترويج له من " حق التدخل " وتحجيم مفهوم السيادة وغير ذلك على الصعيد العالمي وبما يتعارض مع ما هو ثابت ومستقر من مبادئ وأهداف ميثاق الأمم المتحدة والقانون الدولي في هذا الشأن .

وقد تضمن مشروع البيان وبرنامج العمل مقترحات متعددة لتفعيل حوار الثقافات في إطار الفرانكفونية مثل إدماج قطاعات المجتمع المدني والأكاديميين والمرأة والشباب، وإنشاء شبكة للأساتذة الجامعيين والقانونيين لدول الفرانكفونية، وإدماج حوار الثقافات في برامج التعليم، وترجمة الأعمال الأدبية فيما بين مختلف لغات الدول المنتمية للفرانكفونية، كذلك تبادل الأفلام والمسرحيات واللوحات الفنية والموسيقى والأدبيات التي تحارب العنصرية وتدعو للحرية والديمقراطية، وتشكيل مرصد للحوار الثقافي يتضمن مركز أبحاث وتمويل أنشطة ثقافية في الدول الفقيرة في الفرانكفونية لإنتاج سينمائي وتليفزيوني وعلى

الإنتـــرنت ، وتوحـــيد مواقف الدول الأعضاء في مسائل حماية حقوق الملكية الفكـــرية ، وأخيراً التشاور المستمر بين الدبلوماسيين والملحقين الثقافيين للدول الأعضاء في الفرانكفونية في المنظمات الدولية المختلفة .[١٦]

٥ – المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم (الإيسيسكو) :

اهـــتمت المـــنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، منذ وقت مبكر بقـــضايا الحوار بين الحضارات . وكان لها دورها المتميز – بحكم اختصاصها ورسالتها – في بلورة مفهوم متكامل ومتوازن للحوار في مستوياته الثلاثة :

- الحوار بين الحضارات .
- الحوار بين الثقافات .
- الحوار بين الأديان .

إن مفهـــوم الحـــوار في الفكر السياسي والثقافي المعاصر من المفاهيم الجديـــدة حديـــثة العهد بالتداول ، فليس الحوار من ألفاظ القانون الدولي ، إذ لا يـــوجد له ذكر أصلاً في ميثاق الأمم المتحدة ، ولا في الإعلان العالمي لحقوق الإنـــسان ، ولا في العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية ، ولا فـــي العهـــد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية ، ولا في إعلان مبادئ التعاون الثقافي الدولي .

وتأسيـــساً علـــى ذلـــك ، فـــإن الحوار مفهوم سياسي إيديولوجي ثقافي حضاري ، وليس مفهوماً قانونياً .

والحوار في تراثنا الثقافي والحضاري قيمة من قيم الحضارة الإسلامية، وموقـــف فكري وحالة وجدانية ، وتعبير عن أبرز سمات الشخصية الإسلامية السوية .

وفي رؤية الإيسيسكو، يستند الحوار إلى أسس ثابتة ، وضوابط محكمة، ويقوم على منطلقات ثلاثة :

- الاحترام المتبادل .
- الإنصاف والعدل .
- نبذ التعصب والكراهية .

وانطلاقاً من رؤية الإيسيسكو إلى الحوار ، واستناداً إلى مفهومه الحضاري الذي أسهمت في تأصيله ، فإن الحوار الذي يحقق الأهداف الإنسانية العامة ، والذي يمكن أن يكون موضع الاهتمام من العالم الإسلامي ، لابد أن يسير في هذه الاتجاهات الثلاثة :

(١) ربط أهداف الحوار بالمصالح العليا للأمة الإسلامية ، بحيث لا يقع أي تعارض بين الأهداف المرسومة لأي حوار بين الحضارات والثقافات يشارك فيه الجانب الإسلامي ، وبين القضايا الرئيسية التي تجتمع حولها إرادة الأمة الإسلامية، والتي تعبر عنها قرارات منظمة المؤتمر الإسلامي، سواء تلك التي تتخذ على مستوى القمة ، أو على المستوى الوزاري .

(٢) الاتجاه بالحوار نحو الجانب الإنساني ، فلا يبقى دائراً حول القضايا الفكرية والعقائدية التي لا تنفع طرفاً من الأطراف . ويدخل ضمن ذلك تحديد الموقف الإيماني الخالص من حقوق الإنسان ، ومحاربة الظلم والعدوان والاضطهاد والإفساد بكل أشكاله ، بحيث يقع الحرص دائماً على إصدار بيانات مشتركة في أعقاب كل جولة للحوار تحدد مواقف أهل الإيمان مما يجري في العالم من انتهاكات لحقوق الإنسان في كل مكان ، ومما يقوم به الظالمون والمعتدون والمفسدون في الأرض من بغي وعدوان ، من وجهة نظر الحق والعدل والقيم الدينية المشتركة ، وليس فقط من وجهة النظر السياسية والقانونية الوضعية ومصالح الأقوياء وذوي النفوذ في العالم .

(٣) التنسيق بين أطراف الجانب الإسلامي في كل ما يتعلق بالحوار بين الحضارات والثقافات ، بحيث تقوم الجهة الإسلامية الرسمية أو الشعبية التي تدخل في حوار على هذا المستوى ، بإبلاغ كل الجهات ، أو أهمها وأكبرها وأوسعها نشاطاً وحضوراً في ساحة العمل الإسلامي العلمي والفكري والثقافي بموضوعات الحوار ، وبموعده ، وبالأهداف المرسومة له ، وبالجهة التي تنظمه ، حتى يمكن الانضمام إليه والمشاركة فيه لمن أراد وتوفرت له الأسباب .

فإذا سار الحوار بين الحضارات في هذه الاتجاهات ، أمكن الوصول إلى نتائج إيجابية تخدم في المقام الأول المصالح العليا للأمة الإسلامية وقضاياها، وتعزز الجهود المبذولة على مستويات كثيرة للدفاع عن هذه المصالح ولنصرة هذه القضايا ، وتدعم العلاقات الدولية وتثريها ، وتسهم في إقرار الأمن والسلم والاستقرار في العالم ، وترفع من شأن قيم الإيمان بالخالق سبحانه وتعالى ، وبمبادئ التعايش بين بني البشر كافة .

ومن أنشطة الحوار التي نفذتها الإيسيسكو وشاركت فيها :

- المؤتمر العام الثامن للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية : القاهرة (مصر) : ٢٤-٢٧ يوليو ١٩٩٦ ، شارك فيه المدير العام ببحث حول (الإسلام ومستقبل الحوار الحضاري) وقد نشر البحث في كتاب باللغات الثلاث : العربية والإنجليزية والفرنسية .
- اجتماع دولي حول الحوار بين الأديان والحضارات : القاهرة (مصر) : ٨-١٠ نوفمبر ١٩٩٨ ، دعا إليه المجلس الإسلامي الأعلى للدعوة والإغاثة .
- اجتماع لجنة التنسيق الخاصة بالحوار الإسلامي - المسيحي : عمان (الأردن) : ٢٢-٢٣ أبريل ١٩٩٨ .
- المؤتمر العام العاشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية : القاهرة (مصر) : ٢-٥ يوليو ١٩٩٨ ، شارك فيه المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ببحث حول (الإسلام والتعايش بين الأديان في أفق القرن الحادي والعشرين) . وقد نشر البحث في كتاب باللغات الثلاث : العربية والإنجليزية والفرنسية .
- اجتماع فريق الصياغة للوثيقتين العالميتين حول الحوار بين الحضارات : جدة (المملكة العربية السعودية) : ٥-٧ فبراير ٢٠٠٠ ، عقد في مقر الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي .
- ندوة دولية حول الحوار والتعايش بين الحضارات والثقافات ، برلين (ألمانيا) : ٥ يوليو ٢٠٠٠ ، بالتعاون بين المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، ورابطة العالم الإسلامي ، ومؤسسة الإمام الخوئي الخيرية .

- نـــدوة دولـــية حول إسهامات الحضارات الإنسانية في الارتقاء بقيم حقوق الإنسان ومبادئها ، الرباط : ٢٥-٢٧ نوفمبر ٢٠٠٠ ، عقدتها منظمة العفو الدولية .
- نـــدوة دولية حول الحوار الحضاري ، والتعايش بين الشعوب : فرانكفورت (ألمانـــيا) : ١٨-٢٠ أكتوبـــر ٢٠٠١ ، عقـــدتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة .

٦ - جامعة الدول العربية :

كـــان للمجمـــوعة العربية مداخلة جماعية في أول دورة للجمعية العامة للأمـــم المـــتحدة تناقش موضوع حوار الحضارات ، وهي الدورة ٥٤ للجمعية العامـــة ، وتحديـــداً فـــي ١٠ ديـــسمبر ١٩٩٩ حيث ألقى وفد قطر بياناً باسم المجموعة العربية عرض فيه الموقف العربي من الحوار بين الحضارات الذي يـــستند علـــى إيمـــان الـــدول العـــربية بحوار الحضارات ونبذها للصراع بين الحـــضارات ، والـــدور الرائد للحضارة العربية الإسلامية في إثراء الحضارة الإنسانية ، حيث شكلت إنجازاتها في مجالات العلوم والفنون جسراً من الإبداع ربـــط الحضارة القديمة بالعصر الحديث ، والذي أوصل إلى الإنجازات الحالية التي هي تراث مشترك للإنسانية ، والتحديات التي تطرحها ظاهرة العولمة في ضـــوء طغـــيان القوة وعدم الاعتراف بالآخر ومحاولة الهيمنة عليه ، وبالتالي تهديد الهوية القومية والخصوصية الثقافية للشعوب والأمم الأخرى ، وأكد البيان ضرورة تفادي تلك التحديات وما تحمله من مخاطر عبر حوار للحضارات يقوم على المساواة والعدل والتنوع والسلام وعلى أساس ثقافة السلام القائم على العدل والتـــسامح وأوضـــح البـــيان أن تحقيق الحوار يجب أن يستند إلى إزالة أشكال الاحـــتلال الأجنبي والهيمنة واحترام سيادة الدول ووحدتها الإقليمية واستقلالها الـــسياسي وعـــدم الـــتدخل في شئونها الداخلية ، فلا تسامح مع بقاء الاحتلال والعدوان . كما يجب أن يستند إلى إزالة العقبات التي تعيق إعمال حق الشعوب فـــي تقريـــر المـــصير ، وعدم جواز استخدام القوة أو التهديد بها وعدم جواز اكتـــساب أراضـــي الغيـــر بواســـطة الحـــرب . وهكذا ربط البيان بين حوار الحـــضارات وثقافة السلام من جهة ونضال الدول العربية من أجل التوصل إلى

تسوية سلمية شاملة وعادلة ودائمة للأوضاع في الشرق الأوسط وفقاً لقرارات الشرعية الدولية ، وكذلك التأكيد على محورية دور الأمم المتحدة في حوار الحضارات .

إلا أن جامعة الدول العربية دخلت متأخرة نسبياً في مجال حوار الحضارات ، ولم يحدث ذلك إلا بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ وتخوف بعض الدول العربية من تعرضها لضربات من قبل الولايات المتحدة وحلفائها عقب الانتهاء من ضرب أفغانستان . كما أن مجمل الدول العربية بدأت تدرك مخاطر الربط بين العروبة والإسلام من جهة والإرهاب من جهة أخرى وما صاحب ذلك من محاولات سياسية وإعلامية وثقافية في الغرب للتعريض بالحضارة العربية الإسلامية . وأخيراً وعت الدول العربية ضرورة القيام بجهد داخل الدول الغربية ذاتها لمواجهة مروجي التفسيرات المتطرفة أو المتشددة أو الجامدة للإسلام والترويج بالمقابل للفكر الإسلامي المستنير والمنفتح تجاه الآخر وثقافاته وأفكاره .

وقد جاء التحرك العربي ممثلاً في اجتماع عقده وزراء الخارجية العرب على هامش الاجتماع الاستثنائي لوزراء خارجية منظمة المؤتمر الإسلامي بالدوحة يومي ٨ و٩ أكتوبر ٢٠٠١ ، ناقشوا خلاله هذه المسائل ، وأقروا مبادرة طرحها أمين عام الجامعة للدعوة لتجمع فكري عربي في إطار الجامعة يشارك فيه المثقفون والأكاديميون والمفكرون العرب من مختلف الدول والمراكز البحثية العربية داخل وخارج الوطن العربي لبلورة صيغة عملية ومحددة تشمل سبل مواجهة الحملة ضد العرب والمسلمين وتصحيح مصادر الخلل الفكري والثقافي داخل العالم العربي وصورة العرب والمسلمين في الخارج .

وبالفعل أعدت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ورقة عمل تحضيراً للتجمع الفكري الذي أقره اجتماع الدوحة والذي عقد في نهاية نوفمبر ٢٠٠١ في مقر الجامعة بالقاهرة وتناولت مقدمة هذه الورقة النظرة السلبية ومحاولات التشويه في الغرب للهوية العربية والثقافية الإسلامية ، واعتبرت هذه النظرة مستمرة منذ قرون عديدة ، وإن فترت هذه النظرة – أو ربما التعبير عنها – خلال المواجهة بين الكتلتين الشرقية والغربية إبان الحرب الباردة ، ثم عادت

للبـــروز فـــي العقـــد الأخير حيث تم الترويج للصراع والصدام بين الإسلام والغرب، وساعد على ذلك آراء متشددة صدرت من أفراد وجماعات داخل العالم الإســـلامي وممارســـات اتسمت بالعنف والإرهاب قامت بها جماعات محسوبة علـــى الإسلام وكذلك ممارسات متخلفة تتم داخل مجتمعات المسلمين أو أحياناً بواسطة بعض حكوماتهم ، وأدى كل هذا إلى إلقاء تبعة وقوع أعمال إرهابية في أي مكـــان فـــي العالم على عاتق العرب والمسلمين في مجملهم . وتأكدت هذه النظرة للعروبة والإسلام بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ في نيويورك وواشنطن، وانعكـــس ذلـــك على العرب والمسلمين المقيمين في أوروبا وأمريكا وصار له تأثيره على المفكرين والكتاب ووسائل الإعلام ودوائر صنع القرار في الغرب .

وقد اقترحت ورقة الأمانة العامة لجامعة الدول العربية صياغة برنامج (عملي) براجماتي النزعة يقبل التنفيذ العاجل مع إجراءات أخرى قابلة للتحقيق علـــى المدى البعيد بهدف شرح تاريخ وإسهام الحضارة الإسلامية ودورها في إثراء الحضارة الإنسانية وتقدم مسيرة البشرية وتصحيح المفاهيم المغلوطة عن العـــروبة والإسلام ديناً وثقافة وحضارة في خارج العالم الإسلامي ، خاصة في الغـــرب وكذلك بلورة إجراءات تصحيحية داخل الساحة العربية وعلى الصعيد الثقافـــي بمـــا يماثـــل ثورة ثقافية في تقديم بديل لما يتم الترويج له أحياناً باسم الإسلام وهو من قبيل التشدد والتزيد .

وتضمن برنامج العمل المقترح خطوطاً إرشادية تؤخذ في الاعتبار عند صـــياغة الخطـــاب العربي والإسلامي على أساس نظرة الإسلام للبشر جميعاً باعتبارهم متساويين دون تمييز أو عنصرية ونظرة للآخر على أساس الاحترام المتـــبادل ، والإطار الأخلاقي الذي يحكم المعاملات الدولية من منظور الإسلام أي معـــاملات الدول الإسلامية مع غيرها من الدول سواء في زمن الحرب أو الـــسلام ، كـــذلك إبراز دعوة الإسلام للتعاون بما يتجاوز مجرد التعايش أو ما يجـــري التـــرويج له في الغرب حالياً من قيمة " التسامح " باعتبارها أقصى ما يمكـــن الوصول إليه ، وأخيراً يقترح برنامج العمل توعية الغرب عبر مخاطبته باللغـــة الفكـــرية والـــسياسية والثقافية والإعلامية التي يفهمها وتعريف الغرب بحقائق ودوافع ومشكلات العالمين العربي والإسلامي .[١٧]

١ – مبادرات من الفاتيكان :

في ٩ نوفمبر ٢٠٠١ وجه البابا يوحنا بولس الثاني بابا الفاتيكان رسالة للمجمع البابوي للحوار بين الأديان أكد فيها أن القول بأن أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ في الولايات المتحدة الأمريكية وما تلاها تعكس صدام الأديان يناقض جوهر الأديان التي تدعو جميعها للعمل لصالح وإنهاء معاناة البشر وبناء عالم تسوده العدالة . وذكر البابا في رسالته أن الحوار بين الأديان يزداد أهمية في ظل تعاظم ظاهرة التعددية الثقافية والدينية في الألفية الثالثة ، وذلك لبناء السلام العالمي باسم الإله الواحد ، وهذا السلام يستوجب بدوره تغليب روح المصالحة لحل الصراعات والنزاعات القائمة . وقد اختار المجمع البابوي للحوار بين الأديان موضوع " البعد الروحي لحوار الأديان " عنواناً لمؤتمره لعام ٢٠٠١ وفي ضوء ذلك أوضح البابا أنه يعتبر " الثالوث المقدس " في المسيحية نموذجاً يحتذي به للحوار بين البشر من مختلف الانتماءات الثقافية والدينية ، حيث كان الرب يتحدث إلى البشر عبر المسيح ، بينما كان المسيح يتعامل مع البشر بكل تواضع واقر البابا يوحنا بولس الثاني بأن مهمة الحوار التي يدعو إليها ليست بالسهلة ، نظراً لوجود تحيزات سابقة وسوء فهم يحتاج للكثير من الصبر والمثابرة ، وأوضح من جهة أخرى أن الحوار بين الأديان يساعد على التعرف على الإله كما ينعكس في قلوب وعادات وطقوس أتباع الديانات الأخرى وصولاً إلى غايات الطهر والكمال .

وقد سبق ذلك دورة جديدة من دورات الحوار المسيحي / الإسلامي والذي تنظمه سنوياً جماعة " سانت إيجيديو " ، وهي جمعية أهلية إيطالية ذات صبغة كاثوليكية قريبة من الفاتيكان ، وتنظم دورات هذا الحوار سنوياً منذ عام ١٩٨٥ . وقد شاركت في الدورة الأخيرة شخصيات بارزة عن الجانبين المسيحي والإسلامي .

وأجمع المشاركون في هذه الدورة " على إدانة الإرهاب بشكل عام ، وأحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ بالولايات المتحدة على وجه الخصوص ، كما استنكر المشاركون من العالم الإسلامي ازدواجية المعايير في العلاقات الدولية مما يوجد شعوراً بالظلم يشجع بدوره على نمو التطرف والإرهاب وأكدوا أن عدم التوصل إلى حل عادل للصراع العربي / الإسرائيلي سيصعب من فرص

إزالـــة أسباب العنف ، وقد اتفق معظم المتحدثين في المؤتمر على أن استخدام القـــوة لـــن يقـــضي على الإرهاب لأن الأمر يتطلب استئصال دوافع ارتكابه ، وركـــزوا علـــى نقـــاط التلاقـــي بين الإسلام والمسيحية داعين إلى تلاقي نقاط الـــتعارض مبـــرزين عـــدم وجود صدام بين الحضارتين الغربية والإسلامية ، وداعين أيضاً إلى حوار بين رجال الدين والمثقفين من الجانبين .

إلا أن المؤتمـــر لـــم يتمكن من التوصل إلى بيان ختامي لأعماله بسبب عـــدم ترحيب المشاركين عن الجانب المسيحي باقتراح المشاركين عن الجانب الإســـلامي تـــضمين البـــيان أهمـــية التوصـــل إلى حل عادل وشامل للقضية الفلسطينية، ومراعاة عدم مساواة الإرهاب مع مقاومة الاحتلال ، وبالمقابل ، تم الاتفـــاق علـــى تشكيل مجموعة اتصال لمحاولة صياغة بيان يناسب الطرفين . وكـــبديل عـــن البيان الختامي ، وجه رئيس جماعة " سانت إيجيديو " نداءً في الحفـــل الختامـــي للمؤتمـــر أعـــرب فيه عن إدانة المشاركين للاعتداءات على الـــولايات المتحدة وفي أي مكان آخر ، ودعا الشعوب لتجاوز مشاعر الخوف والكراهية ، ولإجراء مزيد من الاتصالات لدعم العلاقات بين الإسلام والمسيحية ونفـــى دعـــاوي الـــصدام بين الثقافات والأديان بشكل عام ، ودعا إلى السلام والـــتعايش بـــين أتـــباع الديانات السماوية التوحيدية الثلاث ، وزيادة مساحات التلاقي فيما بينها ، وكرر نفس الأفكار أحد المشاركين عن الجانب الإسلامي في كلمة نيابة عن هذا الجانب .

ولاشـــك أن المؤتمر والنداء الذي تلاه والموجه عن بابا الفاتيكان بشأن حـــوار الأديـــان قد ركزا على مفهوم حوار الأديان بأكثر مما ركزا على حوار الـــثقافات والحضارات ، وذلك طبيعي من منطلق الطبيعة الدينية لدولة الفاتيكان والمؤسسات التابعة له والقريبة منه . وقد رأى الفاتيكان في أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ وتداعـــياتها مخاطـــر على سياسة حوار الأديان والثقافات التي ينتهجها الفاتـــيكان مـــنذ فترة ، كما أن الرئيس الإيطالي حرص على إقامة حفل استقبال علـــى شـــرف المشاركين في مؤتمر جماعة " سانت إيجيديو " حيث ألقى كلمة أبـــرزت أن الإســـلام دين وثقافة كبرى يستحق الاحترام ، كما أنه يشترك مع المسيحية في قيم عالمية ، ودعا كل طرف إلى الاعتراف بالهوية الدينية والثقافية

للآخـــر واحتـــرامها كقاعـــدة للـــتعاون الأوروبي المتوسطي في سياق عملية برشلونة، وألمح ضمنياً إلى فضل الحضارة الإسلامية على الحضارة الغربية ، خاصـــة في إيطاليا ، وأقر بأن القضاء على الإرهاب يستلزم تحقيق السلام في الشرق الأوسط .[١٨]

ومن أنشطة الحوار التي أنجزت :

١ - **الحوار بين الأزهر والفاتيكان :**

(١) بدأت الاتصالات بين الفاتيكان والأزهر في أوائل التسعينيات حيث تم عقد لقاءات غير رسمية بين ممثلين عن الفاتيكان وفضيلة الشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر (آنذاك) وذلك في مدينة برن عام ١٩٩٤ ، وكذلك عقـد لقـــاء فـــي نفس العام بين الدكتور / علي السمان والكاردينال كينج والكاردينال أرينزي.

(٢) قـــام الكاردينـــال / فرنـــسيس أرينزي رئيس المجلس البابوي للحوار بين الأديان بزيارة للقاهرة في ٢ مايو ١٩٩٥ حيث التقى بفضيلة الشيخ / جاد الحق علي جاد الحق شيخ الجامع الأزهر (آنذاك) واقترح عليه إقامة لجنة اتصال دائمة للحوار بين الأزهر والفاتيكان .

(٣) قـــام وفد من الفاتيكان بزيارة للقاهرة في ٣١ مايو ١٩٩٦ حيث قدم الوفد فـــضيلة شيخ الأزهر مشروع إعلان مبادئ خاص باللجنة المشتركة بين الأزهر وبين المجلس البابوي للحوار بين الأديان ممثلاً للفاتيكان .

(٤) قرر الشيخ محمَّد سيِّد طنطاوي في ٨ سبتمبر ١٩٩٧ (شيخ الأزهر آنذاك) تـــشكيل لجنة لحوار الأديان السماوية بالأزهر لتوفير الإطار المتخصص والمقابـــل للمؤسسات الدينية العالمية التي تعمل في مجال حوار الأديان ، وتشكلت اللجنة على النحو التالي :

أ - الشيخ / فوزي فاضل الزفزاف — وكـــيل الأزهـــر ممثلاً لشيخ الأزهر – رئيساً

ب - الشيخ / سامي محمَّد متولي الشعراوي — الأمـــين العام لمجمع البحوث الإسلامية – عضواً

ج – الدكتور / علي السمان رئيس لجنة الحوار والعلاقات الإسلامية بالمجلس – عضواً ونائباً للرئيس .

د – عضواً من مجمع البحوث الإسلامية عضواً .

ه – السيد / جمال أبو الحسن رئيس الإدارة المركزية للشئون القانونية والمشرف على مكتب شيخ الأزهر – أميناً للجنة الحوار .

كما قرر الشيخ فوزي فاضل الزفزاف وكيل الأزهر في ١٩٩٧/٩/٨ تشكيل لجنة فرعية تنبثق عن اللجنة الدائمة لحوار الأديان السماوية وذلك بغرض إجراء الاتصالات بين الأزهر والمجلس البابوي لحوار الأديان بالفاتيكان وذلك على النحو التالي :

أ – الشيخ / فوزي فاضل الزفزاف رئيساً .

ب – الدكتور / علي السمان عضواً ونائباً للرئيس .

ج – عضو من مجمع البحوث الإسلامية .

د – خبيرين بصفتهم الشخصية هما :

- السفير / فتحي مرعي .
- السفير / نبيل بدر .

(٥) توصلت اللجنة الدائمة لحوار الأديان السماوية بالأزهر والمجلس البابوي للحوار بين الأديان بالفاتيكان لاتفاق على إنشاء لجنة حوار مشتركة ، وتم التوقيع بالفاتيكان يوم ٢٨ مايو ١٩٩٨ ، حيث وقع عن الأزهر الشريف كل من فضيلة الشيخ / فوزي فاضل الزفزاف رئيس اللجنة الدائمة لحوار الأديان السماوية بالأزهر والدكتور / علي السمان نائب رئيس اللجنة ، ووقعه عن الفاتيكان كل من الكاردينال / فرنسيس أرينزي رئيس المجلس البابوي للحوار بين الأديان والمونيسيور / مايكل فيترجيرالد أمين سر المجلس .

ويـــنص الاتفـــاق بين الأزهر والفاتيكان على أن تعمل اللجنة المشتركة بيـــنهما على البحث عن القيم المشتركة وعلى تدعيم العدالة والسلام وعلى ترســـيخ احتـــرام الأديـــان ، كمـــا تقوم اللجنة بتشجيع تبادل الرأي حول موضـــوعات ذات اهـــتمام مـــشترك كالدفاع عن كرامة الإنسان ، تشجيع المعـــرفة المتـــبادلة والاحتـــرام بين الكاثوليك والمسلمين من خلال تبادل المعلومات اللازمة .

(٦) عقد يوم ١٩٩٨/٥/٢٨ بالفاتيكان الاجتماع الأول للجنة المشتركة للحوار ، حـــيث مثل الأزهر الشيخ الزفزاف ود. علي السمان ، بينما مثل الفاتيكان الكاردينال / أرينزي والمونسيور / فيتجز جيرالد والأب خالد عكاشة من مكـــتب الحـــوار مـــع المسلمين بالمجلس البابوي للحوار بين الأديان ، تم تـــشكيل لجـــنة فرعية للإعداد للاجتماعات من حيث تحديد الموضوعات واختـــيار المكان ، وتم اختيار د. علي السمان والمونسيور / فيتز جيرالد كأعـــضاء فـــي اللجنة الفرعية . اتفق على قائمة بالموضوعات المقترحة لاجتماعات اللجنة المشتركة للحوار بين الأزهر والفاتيكان وهي :

أ – الأديان والعنف .

ب – الأسس المسيحية والأسس الإسلامية لحقوق الإنسان .

ج – التعاون بين الهيئات الإسلامية والمسيحية للإغاثة .

د – جـــواب المـــسلمين وجواب المسيحيين على المسائل المطروحة نتيجة تقدّم الطب .

هـــ – تدعيم الاحترام المتبادل بين الديانتين .

(٧) ســـيعقد الاجتماع القادم للجنة المشتركة بين الأزهر والفاتيكان في مارس ١٩٩٩ ، وتـــم الاتفـــاق على أن يناقش الاجتماع موضوع القيم المشتركة علـــى أن يـــتم تنظيم ندوة بين جامعة الأزهر وإحدى الجامعات الفاتيكانية لبحث قيمة التسامح لدى الجانبين المسلم والمسيحي وقد كلفت لجنة الحوار في الأزهر الدكتور علي السمان للاتفاق على تنظيم تلك الندوة .

(٨) تـــرى سفارتنا في الفاتيكان أن هناك أهمية لتقدير دور الفاتيكان في مجال تشكيل توجهات الدول الغربية من مسألة الحريات الدينية وحقوق الإنسان ،

فالفاتيكان يعتبر قوة عظمى روحانية لها تأثيرها المباشر ليس فقط على جمهـور المؤمنـين بالديانة المسيحية بل وأيضاً على الحكومات ومتخذي القرار في الدول الغربية والمسيحية من خلال الدور الذي تقوم به جماعات الضغط الكاثوليكية داخل تلك الدول وعلى رأسها الولايات المتحدة .

٢ - **اللجنة الإسلامية الكاثوليكية :**

(١) تـشكلت اللجـنة بناء على مبادرة من المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة ومقره القاهرة للحوار مع الفاتيكان مع التركيز على المسائل التي تحتاج للتنسيق بين الجانب الإسلامي والمسيحي مثل القضايا ذات الصبغة الاجتماعية ، وتضم اللجنة خمسة أعضاء بحد أقصى من كل جانب وذلك على النحو التالي :

الجانب الإسلامي :

(أ) كامل الشريف — سكرتير عام المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة .

(ب) عبد الله العبيد — أمين رابطة العالم الإسلامي .

(ج) عبد العزيز التويجري — رئيس منظمة الإليسكو التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي .

(د) عبد الله نصيف — رئس المؤتمر الإسلامي بكراتشي

الجانب المسيحي :

(أ) الكاردينال / فرنسيس أرينزي — رئـيس المجلـس البابوي للحوار بين الأديان .

(ب) الأسقف / مايكل فيتز جيرالد — عضو المجلس البابوي

(ج) الأب د. / خالد عكاشة — عضو المجلس البابوي

(د) ممثل بطريرك الكاثوليك بالإسكندرية .

وللجنة سكرتارية مشتركة من كل من :

(أ) حامد الرفاعي — عضو المؤتمر الإسلامي بكراتشي

(ب) الأب / خالد عكاشة — عضو المجلس البابوي للحوار بين الأديان

(٢) عقدت اللجنة الإسلامية الكاثوليكية اجتماعها الثالث في الرباط ١٨ ، ١٩/ ١٩٩٧/٦ . رأس الجانب الإسلامي كامل الشريف سكرتير عام المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة . ورأس وفد الكثاوليك الكاردينال فرنسيس أرينزي رئيس المجلس البابوي للحوار بين الأديان . بحث الاجتماع كيف يتحدث المسلمون والمسيحيون عن بعضهما البعض وحقوق الأقليات .

(٣) كما عقدت اللجنة دورتها الرابعة في القاهرة ١٧ ، ١٩٩٨/٧/١٨ وقدمت بحوث من الجانبين حول :

- واجبات الرجل والمرأة في الأسرة والمجتمع .
- حقوق الإنسان وواجباته .
- حقوق الطفل في الأسرة والمجتمع .

٣ - مبادرة روبين كوك وزير الخارجية البريطاني :

(١) اقترح روبين كوك وزير خارجية بريطانيا في خطاب علني له في ١٠/٨/ ١٩٩٨ إقامة حوار بين الاتحاد الأوروبي ومنظمة المؤتمر الإسلامي بحيث يشمل هذا الحوار مجموعة من الموضوعات ذات الاهتمام المشترك مثل الوضع في البلقان وعملية السلام في الشرق الأوسط وأفغانستان والإرهاب وحقوق الإنسان وحقوق الأقليات .

(٢) وقد طرحت بريطانيا الفكرة على إيران بوصفها الرئيس الحالي لمنظمة المؤتمر الإسلامي وعلى الكويت بوصفها رئيس مجلسي وزراء خارجية المنظمة بالإضافة إلى السعودية وقد رحبت الدول الثلاث بهذا الحوار .

(٣) ستناقش مجموعة العمل الخاصة بالشرق الأوسط في الاتحاد الأوروبي في بروكسل خلال نوفمبر الحالي موضوع الحوار بين الإسلام والغرب .

٤ - اللجنة الإسلامية للحوار (Islamic Committee for Dialouge (ICD):

(١) عقد المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة ندوة بعنوان " تقويم وتأصيل منهجية الحوار الإسلامي - المسيحي " وذلك في القاهرة في ١٣، ١٤ فبراير ١٩٩٨ ، وكان من ضمن توصيات الندوة تشكيل لجنة لوضع

مـنهاج عام للحوار الإسلامي – المسيحي وأسس التنسيق بين المنظمات والجهات الإسلامية التي تشارك في الحوار ، كما أوصت الندوة بان يكون الدكـتور / ناصـر الـدين الأسد رئيس المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسـلامية (مؤسسة آل البيت) رئيساً للجنة المقترحة وأن يكون الدكتور / حامد بن أحمد الرفاعي الأمين العام المساعد لمؤتمر العالم الإسلامي أميناً عاماً لتلك اللجنة .

(٢) عقدت اللجنة الإسلامية للحوار اجتماعها الأول في عمان (الأردن) يومي ٢٢ ، ٢٣ أبـريل ١٩٩٨ برئاسة الدكتور / ناصر الدين الأسد وبحضور السادة :

كامل الشريف	الأمـين العـام للمجلـس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة – القاهرة .
عبد الله العبيد	الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي – مكة المكرمة
د. عبد السلام العبادي	وزيـر الأوقـاف والشئون الإسلامية والأمين العام للهيئة الخيرية الهاشمية للإغاثة عمان (الأردن)
عبد العزيز التويجري	المديـر العـام للمـنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسسكو) الرباط .
د. حامد بن أحمد الرفاعي	الأمين العام للجنة الحوار الإسلامي – المسيحي في المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة، والأمين العام المساعد لمؤتمر العالم الإسلامي – كراتشي .
د. محمود أحمد كفتارو	المدير العام لمجمع أبي النور الإسلامي – دمشق .
المستـشار / محمّـد بدر المتياوي	الـنائب العـام الـسابق في مصر ، وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر – القاهرة .
محمّد السماك	الأمـين العـام للجـنة الوطنية الإسلامية المسيحية للحوار والأمين العام للقمة الروحية – بيروت .
د. علـي عبد اللطيف أبو شويمة	المـسئول الإعلامي لاتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبـا ورئـيس المركـز الإسـلامي بمـيلانو ولومبارديا – ميلانو

د. شيخ أحمد ليمو — رئيس جمعية الوقف الإسلامي للتربية والإرشاد – نيجيريا .

د. علي السمان — نائب رئيس اللجنة الدائمة لحوار الأديان بالأزهر ورئيس لجنة الحوار والعلاقات الإسلامية بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة .

(٣) وقد اتفق المشاركون في الاجتماع على صيغة مشروع ميثاق للجنة الإسلامية للحوار ، واتفق على إرساله لكل المنظمات والهيئات والمؤسسات التي اشتركت في ندوة القاهرة (فبراير ١٩٩٨) على أساس أن جميعها أعضاء مؤسسين في اللجنة الإسلامية للحوار .

أهم المؤتمرات والندوات حول الموضوع :

١ – مؤتمر " المسلمون والمسيحيون في المجتمع المعاصر ، صور الآخر ومعنى المواطنة :

عقد في عمان بالأردن يوم ١٩٩٨/١١/١٠ وذلك بتنظيم من المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) بالتعاون مع المركز الأرثوذكسي (شامبيزي – سويسرا) ، شارك فيه ممثلين عن الأردن – سويسرا – ليبيا – العراق – تونس – السنغال – فلسطين – لبنان – الجزائر – مصر وعدد من الدول الأوروبية بالإضافة إلى الولايات المتحدة وروسيا .

٢ – " الملتقى الدولي الأول للعقائد الدينية الثلاثة " :

طليطلة – أسبانيا ١٩٩٨/١١/١٠ نظمته وزارة العدل الأسبانية بهدف دعم الحوار بين الأديان وتشجيع روح التسامح ، وشارك فيه ٣٠ شخصية من ممثلي الهيئات الدولية والخبراء من مختلف أنحاء العالم ، وركز الملتقى على دراسة التجربة الأسبانية كنموذج للتعايش بين الأديان .

٣ – الندوة التشيكية Forum 2000 :

يدعو لعقدها الرئيس التشيكي فاتسلاف هافل وقد عقدت الدورة الثانية لها في براج في ١١-١٤ أكتوبر ١٩٩٨ وشارك فيها رجال سياسة واقتصاد وفكر يمثلون ثقافات العالم ، ومثل مصر في ندوة هذا العام (التي كانت عن

العـولمة ومـشاكلها) كـل من الدكتور فوزي فاضل الزفزاف وكيل الأزهر ورئـيس لجـنة حوار الأديان السماوية به والدكتور / علي السمان رئيس لجنة الحـوار والعلاقـات الإسلامية بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية وعضو لجنة الحـوار بالأزهـر وشارك في ندوة هذا العام هيلاري كلينتون وهنري كيسنجر وفـان دان بـروك المفـوض الأوروبي والحاخام الإسرائيلي الأكبر مائير لاو وآخرين .

٤ - **مؤتمر الإسلام والمسيحية ١٩٩٨/٩/١٦ :**

نظـم المؤتمـر جماعة الترينيتا ريان تحت رعاية اليونسكو وذلك في جامعة أوربانيانا في روما ، وشارك في المؤتمر رئيس وزراء الفاتيكان ، مدير عـام مـنظمة اليونـسكو ، وعدد من الأكاديميين من إيطاليا وألمانيا والولايات المتحدة وأسبانيا وتونس ، وشارك من مصر الدكتور / عطية القوص من جامعة القاهرة والسيد السفير / حسين الصدر سفيرنا في الفاتيكان .

٥ - **" مؤتمر حرية الدين والعقيدة " :**

عقـد فـي أوسـلو بالنرويج في الفترة من ١٢-١٦ أغسطس ١٩٩٨ وحـضره عـن مـصر السيد السفير د. مجدي حفني سفيرنا في أوسلو والسيد الـسفير / نبـيل بـدر مستشار وزير الخارجية، وفيما يلي التوجهات الرئيسية للمؤتمر :

أ - تـزايد الاعتـراف بالدور الرئيسي الذي تلعبه الأديان في مسار السياسات الحالية .

ب - أهمـية دور الدين في إنهاء كثير من الصراعات القائمة في العالم بدلاً من استخدام الأديان كوسيلة لإثارة النزاعات .

ج - ملاحظـة القـصور الواضـح في قاعدة المعلومات التي تتعلق بالديانات وأوضاعها في دول العالم المختلفة ، وقد صدر عن المؤتمر إعلان أوسلو لحرية الدين والعقيدة (مرفق رقم ٥٦) .

٦ - نـــدوة الـــدين حقوق الإنسان مفارقات تناغم أو معاداة - وضع الإسلام والمسيحية ١٩٩٨/٦/١٢ :

نظمتها رابطة العالم الإسلامي بالتعاون مع كلية الحقوق بجامعة هارفارد وذلـــك فـــي المركز الإسلامي الثقافي بروما وافتتحها رئيس الوزراء الإيطالي رومانـــو برودي وشارك في الندوة د. جمال بدوي المصري الجنسية والأستاذ بجامعة سانت ماري بكندا .

٧ - ندوة الحوار بين علماء الإسلام والغرب ١٩٩٨/٤/٢٩ :

وعقدت في المركز الإسلامي الثقافي بإيطاليا .

٨ - مؤتمر " الإسلام والغرب الماضي ، الحاضر ، المستقبل :

وهو المؤتمر التاسع للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية وعقد بالقاهرة في الفتـــرة من ١٣-١٦ يوليو ١٩٩٧ وشارك في أعماله حوالي ٤٠٠ مفكر وعالم من ٨٥ دولة .

٩ - المؤتمر الإسلامي المسيحي في النمسا :

تـــنظم وزارة الخارجـــية النمـــساوية مؤتمرات دولية إسلامية مسيحية لمناقـــشة وبحث قضايا سياسية وثقافية من وجهتي النظر المسيحية والإسلامية وذلك تحت إشراف معهد لاهوت الأديان النمساوي وقد عقد مؤتمران حتى الآن الأول عام ١٩٩٣ ، والثاني في ١٣ مايو ١٩٩٧ تحت عنوان عالم واحد للجميع أسس التعددية السياسية والثقافية من وجهتي النظر المسيحية والإسلامية .

١٠ - ندوة " الإسلام وأوروبا " :

ونظمـــتها مؤسسة كونارد اديناور الألمانية في ١٩٩٧/٤/٢١ في مدينة براج بجمهورية التشيك .

١١ - مؤتمر " صراع الحضارات أم حوار الثقافات " :

ونظمته منظمة تضامن الشعوب الأفريقية الأسيوية في القاهرة في الفترة مـــن ١٠-١٢ مـــارس ١٩٩٧ وحضره حوالي ٣٠٠ مشارك من أكثر من ٣٠ دولة من دول العالم .

١٢ - نـــدوة "European & Islamic Civilization: A Permanent Space for Dialogue" :

وعقدت في باريس يومي ٥ ، ٦ مارس ١٩٩٧ تحت رعاية اليونسكو.

١٣ - ندوة " الإسلام والغرب " :

وعقـدت في باريس يومي ٨ ، ٩ يناير ١٩٩٧ برعاية منظمة المؤتمر الإسلامي .

١٤ - نـدوة **"Ethnic Conflict in 1990's – Clash of Civilizations or Contention for Power" :**

وعقدت في ١٩٩٦/١٠/٢٣ في أوبالا بالسويد .

١٥ - **ندوة " عولمة الثقافة وآثارها على العالم الإسلامي والغرب :**

وعقـدت فـي ديتـشلي بارك ببريطانيا في ٢٩ ، ٣٠ سبتمبر ١٩٩٦ ونظمها مركز الدراسات الإسلامية بجامعة أكسفورد .

١٦ - **ندوة " هل الحوار بين أوروبا والإسلام ممكن ؟ " :**

وعقدت في ١٩٩٦/٩/٢٥ في مدينة أوبالا بالسويد .

١٧ - **مؤتمر " الإسلام ومستقبل الحوار بين الحضارات " :**

وهـو المؤتمـر السنوي الثامن للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية وعقد بالقاهرة في الفترة من ٢٤-٢٧ يوليو ١٩٩٦ .

ثانياً : ومن الشخصيات الداعية للحوار بين الحضارات :

١ - مـبادرة الـرئيس الألمانـي رومـان هيرتزوج للحوار بين الغرب والعالم الإسلامي :

(١) تولدت فكرة المبادرة لدى الرئيس هيرتزوج خلال زيارته إلى ماليزيا في مارس ١٩٩٧ عندما وجهت إليه أسئلة عن فائدة الحوار بين الثقافات لحل النـزاعات الدولية ، وطرح وزير الدولة برئاسة الجمهورية الألمانية فكرة الـرئيس هيرتـزوج في ١٩٩٨/٧/٩ على سفراء عدة دول إسلامية هي (مصر – الأردن – المغرب – ماليزيا) وعدة دول أوروبية هي (إيطاليا – أسبانيا – النرويج – فنلندا – بالإضافة لألمانيا) .

(٢) تقـوم المـبادرة على إقامة شبكة لتبادل المعلومات والبحوث بين عدد من المعاهـد البحثية الوطنية يقوم باختيارها السادة ملوك ورؤساء الدول التي ستتبنى المبادرة وستتعاون تلك المعاهد على الآتي :

أ - تحديد وإبراز القواسم المشتركة بين الحضارتين الغربية والإسلامية .

ب - التغلب على ما يثار من خلافات أو مفاهيم خاطئة بين الحضارتين .

ج - إصـــدار التوصيات المتعلقة بالإدراك المبكر لظواهر الخلافات الحضارية والعمل على تجنب أية مظاهر للمواجهة الثقافية بين الحضارتين.

د - تحديد مجالات التعاون بين الدول الغربية والإسلامية لتحقيق أهداف الحوار بينهما .

(٣) وجه الرئيس هيرتزوج رسالة للرئيس / محمّد حسني مبارك لدعوته لتبني مبادرة الحوار ، ووافق سيادته على ذلك واقترح قصر الحوار على الأبعاد الثقافية والحضارية فقط ، وقد وافق الجانب الألماني على ذلك .

(٤) انصبت معايير اختيار الدول المدعوة لتبني المبادرة على مكانة رئيس كل دولة ودوره المهم في منطقته ، إلا أن تشكيل الدول المنضمة للمبادرة ليس نهائـياً وممكـــن أن تنـــضم إليها لاحقاً دول أخرى مثل فرنسا وبريطانيا وإيران وتركيا .

(٥) أعلن رسمياً عن المبادرة في ١٩٩٨/١٠/٦ وتم تعيين البروفيسور د. شتا ينـــباخ رئـــيس المعهد الألماني للدراسات الشرقية بهامبورج كمنسق عام للمـــبادرة ، وقـــد قامت بعض الدول بتحديد ممثلها في الحوار على النحو التالي :

إيطالـــــيا : معهد الدراسات السياسية الدولية في ميلانو

فنلـــــندا : جامعة جوينسو .

النـــــرويج : جامعة أوسلو .

أســـــبانيا : لم تحدد بعد ممثلها .

الأردن : جامعة آل البيت .

ماليـــــزيا : معهد التفاهم الإسلامي .

المغـــرب : لم تحدد بعد ممثلها .

مـــــصر : معهد الدراسات الدبلوماسية بوزارة الخارجية .

(٦) يقـــوم د. شـــتا ينـــباخ المنسق العام للمبادرة حالياً بإعداد جدول أعمال الحـــوار. وســـيقوم مـــستقبلاً بـــزيارة للدول التي تبنت المبادرة لعرض الموضوعات التي سيتم طرحها للبحث ولتبادل الآراء مع الخبراء الممثلين لتلك الدول في الحوار ، ومن المنتظر عقد مؤتمر للمشاركين في المبادرة علـــى مـــستوى الخبراء والأكاديميين وليس رؤساء الدول وذلك في إبريل ١٩٩٩ بمدينة برلين .

٢ - عمرو موسى والطريق إلى دعم الحوار الدولي :(١٩)

يوضـــح عمرو موسى رؤيته على النحو التالي : ينتابنا القلق من إحياء نظرية هنتجنتون المضللة الخاصة بالصراع الحتمي بين الحضارات ، وتصيبنا الصدمة حينما نقرأ المقالات التي تلقي باللوم على العالم العربي والإسلامي فيما يـــتعلق بجرائم يرتكبها قلة من المنحرفين ، ويصيبنا الذهول أيضاً عندما نسمع كـــبار المـــسئولين في العالم الغربي يتحدثون عن سيادة الحضارة الغربية على الحضارة الإسلامية ، ونشعر بالفزع عندما نقرأ المقالات التي تنادي بالتعامل مع الإرهـــاب بالعـــودة إلـــى استراتيجيات القرن الثامن عشر والتي تنادي بإعادة اســـتعمار الدول التي قد يتخفى فيها الإرهابيون ، هل نعيد التاريخ كرة أخرى ؟ ألم نتعلم من دروس الماضي ؟

لقد جئت اليوم لأجيب على هذه الدعاوي الخطيرة ، وللدعوة لحوار جاد عاجـــل بين الثقافات ، فدعونا ننظر إلى الحقائق القابعة أمامنا ، ولنقل أن مقال هنتجنـــتون فـــي نهاية الحرب الباردة لم يكن صدفة ، فقد هزم العدو السياسي الأعظـــم للغـــرب ، ومـــع فحـــص المـــصالح الأمنية الأمريكية وضع صراع الحضارات لينظر إليه كخطر جديد ، فهل القضية تدور فعلاً حول إيجاد عدو ، وهل ينبغي خلق عدو حتى لو لم يكن موجوداً ؟

إنهـــا فرضـــية في غاية الخطورة ، وتزيد خطورتها عندما يوضع هذا العـــدو في إطار ديني أو ثقافي . وهنا أريد أن أقر بأن الإسلام ليس الشيوعية ، ولـــيس نظـــرية سياســـية ، أو اقتصادية يتم توكيدها أو وضعها ، وليس نتاجاً لأحـــوال اجتماعية واقتصادية متغيرة ، إنه مؤسس على معتقدات عميقة الجذور يعتـــنقها مئات الملايين من البشر ، ولا تحكمها مجموعة أو مجموعات تساندها

مكاتب سياسية أو تحميها أجهزة الاستخبارات السرية ، أو الترسانات النووية ، فهـؤلاء الـذين يعتقدون أن صراع الحضارات سينتج عنه النصر لطرف على الآخـر كمـا حدث للشيوعية بهزيمتها والقضاء عليها ، بحاجة إلى أن يفكروا مراراً وتكراراً ، ولا أعتقد أن هذا سيحدث بل سيوقد النار في العالم بأسره .

وفـيما يـتعلق بالإعلانـات الغربية القائلة لسيادة حضارة على جميع الحضارات الأخرى وخاصة الإسلامية ، فإنها فرضية في غاية الخطورة ، ولا تقـبل أي اختـبار ، فالتاريخ يثبت لنا العكس ، ويكشف عن إسهامات الإسلام الثرية والمتميزة للعالم من خلال إثرائه المتبادل بين الشرق والغرب ، والذي دام لقرون طويلة .

إن الـتاريخ دوائر وحلقات ، ومن يحاول أن يقول لنا أن التاريخ يسير فـي خـط مـستقيم وبأن الماضي قد اندثر ولا عودة له ، يتجاهل بذلك طبيعة الـتاريخ الجوهرية . فكل دائرة تتسم بحلقة من التفاعل المتميز بين الحضارات وعـندما كان الغرب نائماً في سبات عميق كانت الحضارة الإسلامية والعربية تثـري العـالم كلـه بإسهاماتها الضخمة ، وجاء دور الحضارة الغربية لتضع إسـهاماتها وتوالت الأحداث ، وهناك الكثير من الكتب التاريخية التي تحكي لنا ظهـور وأفـول الكثير من الإمبراطوريات ، ومن الحكمة أن نقول أن نظرية الآخر في نهاية التاريخ تعتبر هي الأخرى تحليلاً خاطئاً للتاريخ .

فمـن المؤكد أن قدماء المصريين والرومانيين والعثمانيين والبريطانيين والـذين أقاموا جميعاً إمبراطوريات عظمى وأسهموا في الحضارات التي انتموا إليها ، شعروا جميعاً بنهاية التاريخ مع انهيار إمبراطورياتهم ، ولكن التاريخ لم ينتبه مع سقوط أي منها بل لحق بقوة جديدة بازغة ، إن التاريخ لا ينتهي ، إن العصور تبدأ وتنتهي ، ولكن التاريخ مستمر وسيستمر ويتطور إلى ما لا نهاية .

لم ينتشر الإسلام على أطراف الأسنة كما يعتقد البعض بل بقوة العقيدة والإيمـان ، ولازلـنا وبعد أحداث ١١ سبتمبر نواجه العديد من المقالات التي تدعـي أن الكـتب المدرسية ووسائل الإعلام عند المسلمين والعرب ، هي التي تقـف خلـف مـشاعر الكـراهية تجاه الولايات المتحدة والغرب ، إنها جميعا مغالطـات وإن لـم تـصلح ستشوه الرأي العام الغربي ، وليس هناك كراهية

لأمـــريكا أو للغـــرب في العالم الإسلامي أو العربي ، بل يكن العرب للشعب الأمريكـــي وللـــنجاحات الأمريكية مشاعر الإعجاب ، وهناك احترام وإعجاب مـــاوٍ لـــذلك للإنجازات الأوروبية ، وعلى ذلك فإن الوضع الحالي هو خلاف عمـــيق حول سياسات الغرب بصفة عامة والولايات المتحدة بصفة خاصة فيما يـــتعلق بالـــصراع العربي الإسرائيلي ، وما ترونه هو إحساس عميق بالإحباط والغـــضب نتـــيجة للدعم الأعمى للسياسة الإسرائيلية والتعبير عن الظلم اليومي الذي يعاني منه الفلسطينيون .

إن الـــسياسات المـــزدوجة هي شيء مرفوض ، ووضع عباءة الدين أو الـــثقافة على هذا الخلاف العميق هو زيف يحيد بنا عن لب الموضوع ، وقراءة ساذجة خطيرة لأزمة نعاني منها اليوم ، فهي من جهة تنأى بنفسها عن مواجهة مـــشكلة الأخطـــاء الإســـرائيلية الجـــسيمة والمفرطة في النواحي الاستراتيجية والتكتيكية ، ومن جهة أخرى تتجنب تصحيح الموقف تجاه الإسلام الذي وصمت صورته في مجتمعاتكم بالتطرف والسطحية .

دفعتني جميع هذه المخاطر للدعوة لحوار بين الحضارات ، وهي دعوة ليـــست جديدة لكنها أصبحت اليوم عاجلة ، ففي الماضي اعتبرها البعض نوعاً مـــن الرفاهية أو بنداً إضافياً في جدول أعمال العلاقات الدولية ، أما اليوم فإننا ندفـــع الثمن لأننا لم نحسن التعامل مع هذه القضية . واقترح هنا أن نعطي لها الأهمية القصوى ونضعها في مقدمة جدول أعمالنا العالمية ليس في إطار نظرية ثقافية ، بل كضرورة استراتيجية حتمية ، وأضيف أن هذا الحوار يجب أن يعبر عن الحدود الرسمية ليصل إلى جذور المدن .

وأعتقد أننا إذا تناولنا هذه القضية يجب أن نعمل وفقاً للمحاور التالية :

أولاً : بينما يقع الكثيرون عن جهل في شراكة فكرة صراع الحضارات ، يحيد الـــبعض عـــنها لكنهم يعمدون إلى إشعال مثل هذا الصراع ، لذا اصبح حتمياً أن نفرق بين هؤلاء الذين يفتقرون إلى العلم بالموضوع ، وهؤلاء الـــذين تسوقهم الأعمال السياسية إلى موقف معين ، ينبغي أن نصل إلى المجموعة الأولى ونعلمها ، وينبغي أن نكون حازمين في عزل المجموعة الثانية التي لا تفلح إلا في نشر الكراهية والتعصب الأعمى .

ثانـــياً : أن شرط أي حوار جاد هو احترام التعددية والتنوع ، فالتنوع الثقافي نعمة وفي حفاظنا على تقاليدنا المختلفة ، فإننا نحتفي بعظمة وقوة إنسانيتنا المشتركة .

ثالـــثاً : ارتكـــاز الحـــوار على أسس من المساندة والاحترام المتبادل ، فمسار الحـــضارات لا يـــتم بخطـــى متساوية ، فكلها تمر بدورات من النهوض والأفـــول ، لـــذا فليس من الصحيح أن نكشف النقاب عن إمارات التكبر والغـــرور أو أن نحيك لعبة توجيه اللوم للآخرين لأنه لا كمال لأحد ولا أحد ينعم بسلطة احتكار الحكمة .

رابعـــاً : الأخـــذ بمنظور " النوافذ " بدلاً من " المرايا " . إن النافذة تفتح عالماً جديـــداً أمـــا المرأة فتقصر الرؤية على زاوية معينة بل وتعزز من ضيق هـــذه الـــزاوية . وكما أن العرب والمسلمين الذين ينظرون من النافذة لن يروا الحضارة الغربية على أنها حضارة مادية بحتة " فإن الغرب سينظر من النافذة ويرى بوضوح أن العلاقة بين الإسلام والعنف لا وجود لها .

إننا نقف اليوم في مفترق طرق وفي لحظة حاسمة من تاريخنا ، وعلينا أن نـــتخذ قـــراراً هاماً ونختار إما أن نسعى لبناء جسور قوية من التفاهم أو أن نسقط في هاوية من الصراع الدائم تلحق أضرارها البشرية بأسرها . إن السؤال الـــذي يواجهنا اليوم هو هل نستطيع أن نواجه هذا التحدي الذي وضعه التاريخ أمامنا ؟ إن النموذج الذي يجب أن نصبو إليه هو الحضارة والشرعية الدولية في مقابل العنف وغياب القانون ، وليس الغرب مقابل الإسلام . وأعتقد أن الاختيار واضح ويجب ألا ندع هذه الفرصة تفلت من أيدينا .

٣ - زين العابدين بن علي وحوار الحضارات في ظل الشراكة المتكافئة :[٢٠]

تنطلق رؤية زين العابدين على من الأفكار التالية :

- يشكل حوار الحضارات إحدى الدعامات الجوهرية لتعزيز وعي المجموعة الدولـــية بضرورة الإسراع بكبح نزعات العنف والإرهاب ، وإرساء صيغ ملائمة من التعاون توفر الأمن والسلام والتقدم للجميع ، وحوار الحضارات هـــو السبيل الأمثل لمعالجة الانعكاسات السلبية لظاهرة العولمة ، ولتعميق

الـتعاون والتـضامن بـين الشعوب في ظل الشراكة المتكافئة والاحترام المتبادل .

- حـوار الحضارات لابد أن ينطلق من مراجعة سياسات عديدة نمت الشعور بـالظلم لـدى الشعوب التي ترزح تحت أشكال مختلفة من المعاناة ، فثلث البشرية يعيش الفقر والتهميش ولم يتغير سلوك اللامبالاة غير المعلنة تجاه الجـنوب ، فحـوار الحـضارات بهذا المعنى يتيح ترشيد مسار العولمة ، ولاسيما في بعديها الاقتصادي والاجتماعي .
- إن الكونـية لا تـتعارض مع خصوصيات الشعوب وتميز رصيدها الثقافي وخلاصـة تجاربها التاريخية ، فنحن نرى أن البعد الكوني قائم في ذات كل فرد ، وهو من جوهر السلوك الإنساني السليم ، ونرفض أن يوظف البعض الـدين بدعـوى امـتلاك الحقيقة المطلقة أو احتكار المقدس وتشويهه عبر مـصادرة العقـول واغتـيال الحريات والجذب إلى الخلف وتعطيل مسيرة التاريخ .
- إذا كـان العـالم الإسـلامي يفتقـر اليوم إلى القوة التكنولوجية والصناعية بالمقارنـة مع الغرب ، فإنه يمتلك منظومة قيم نبيلة أساسها الخير والرحمة والتسامح والتضامن . ومن هذا المنظور فإن للإسلام دوراً مهماً في صياغة النظرة المستقبلية للكون ، شأنه في ذلك شأن سائر الديانات .
- إن التجـربة الإنسانية الطويلة تبين بوضوح أنه لا سبيل إلى إحلال السلام بين البشر بدون سلام بين القناعات السياسة والدينية ، ويتعين على الديانات التوحيدية الثلاث أن تعزز فيما بينها وبين علاقاتها وفي مجتمعاتها المتنوعة قيم الحرية والتسامح وحقوق الإنسان .
- إن حـوار الحـضارات هـو رؤية تؤسس لمستقبل الأكثر اطمئناناً وأكثر تـضامناً ، ويجـب أن لا يفهم من حوار الحضارات أنه حوار بين الإسلام والغرب، بل لابد أن يكون الحوار بين كافة الثقافات والحضارات والشعوب.

٤ – سمو الأمير الحسن بن طلال واحترام قدسية الحياة :[٢١]

تتحدد فلسفة الحسن بن طلال في :

- احتـــرام قدســـية الحياة هو حجر الزاوية في كل العقائد الكبرى ، وحينما ترتكب أعمال معينة باسم قضية سياسية ويستخدم القائمون بها الدين لإضفاء الـــشرعية علـــى أعمال سياسية فإن هذه الأعمال تُعدّ إهانة لكرامة البشر ، وأعمـــال العنف المتطرف التي يشكل فيها رجال ونساء وأطفال أبرياء كلا مـــن الهـــدف ، والإدارة هـــي أعمال لا أخلاقية بالمرة وغير قابلة للتبرير إطلاقاً ، وليس هناك عقيدة دينية تتسامح مع مثل هذا السلوك .
- الإرهـــاب بطبـــيعة لا يميـــز فهـــو يقتل المدنيين من كل الأعمار والألوان والـــتوجهات ويخيف الأفراد والمجتمعات في كافة أرجاء العالم ، وربما هو اليوم أخطر وأبشع وسيلة للتعبير عن العنف داخل الأوطان وخارجها .
- انتـــشار خلايـــا الإرهـــاب النشطة على مستوى العالم هو تحدي إنساني لنا جمـــيعاً ، وعلـــى الحكـــومات مواجهة هذا التحدي الجديد في القرن الواحد والعشرين على المستويات المحلية والإقليمية والدولية .
- نحـــن لا نـــستطيع ترك هذا التدهور ليتواصل وإلا فإن الأرضية الوسطى المشتركة Terra Media لن تستمر قائمة ، ونحن لا نستطيع الاستمرار في الزعم بأننا معتدلون ووسطيون إذا لم نكن ديناميكيين في دعم هذه الوسطية والأرضـــية الوســـطى المـــشتركة . وإذا لـــم نكن ديناميكين وإذا لم نقف متـــضافرين وإذا لـــم نـــؤخذ بعـــين الاعتبار ، فإن هذه الأرضية ستتآكل وسيملؤها المتطرفون من كل جانب بشعارات الكراهية والمواجهة .
- نحـــن فـــي حاجة إلى تطوير نظام قيم نستطيع جميعاً المشاركة فيه ، وإلى وضع مدونة سلوك Cade of Conduct لكل شئوننا المشتركة ، ونحن في حاجـــة أيضاً لتطوير إطار حضاري لخلافاتنا ، ومن الأهمية بمكان تحمل مسئولية الكلمات والأفعال على كل المستويات .

٥ - جاك شيراك والمسئولية السياسية لإعطاء العولمة وجهاً إنسانياً : (٢٢)

يوضح شيراك رؤيته في النقاط التالية :

- أصبحنا نسمع على نحو متعاظم عن تصادم الحضارات باعتباره السمة التي ســـتميز القرن الواحد والعشرين ، تماماً كما شهد القرن التاسع عشر تنازع القومـــيات والقـــرن العـــشرون تصارع الأيديولوجيات . ويتعين علينا أولاً

دحـــض هـــذا الخطاب الذي تغذيه كل المخاوف كما يتعين علينا مواجهته بواقع آخر سياسي وأخلاقي وثقافي وبإرادة أخرى : إرادة الاحترام والتبادل والحوار بين الثقافات .

- عليـــنا جمـــيعاً أن نطرح بعض الأسئلة على أنفسنا : هل بقينا أمناء لثقافتنا وللقـــيم التـــي ترتكز عليها ؟ هل أعطى الغرب الانطباع بأنه يفرض ثقافة مهيمـــنة يـــشعر الآخـــرون بأنهـــا ثقافة عدوانية ؟ ألم تظهر أحياناً بعض مجادلاتـــنا الثقافـــية الكبرى وكأنها مجادلات قوم أثرياء مفرطة في التركيز علـــى الـــنفس مهملة الواقع الاجتماعي والروحي لكل ما ليس من الغرب ؟ الجواب على هذه التساؤلات هو حوار الثقافات فهو ضمانه السلام في وقت يختلط فيه مصير الشعوب إلى حد لم يسبق له مثيل :
- المبادئ التي سيتركز عليها هذا الحوار هي :
  - تـــساوي جميع الثقافات في الكرامة ، فإذا كانت الثقافات لا تتطور كلها وفق الوتيرة نفسها، فإنها تبقى كلها حية في ذاكرتنا الجماعية ، وهي تشكل هوياتنا ومبررات عيشنا ، وهي تشكل معاً وبالتساوي ، جانب النور والتقدم والضرورة الأخلاقية في نظر البشرية .
  - ضـــرورة الـــتعددية فلا يمكن أن يوجد حوار بين الذات ومثيلها في ظـــل تجاهل تام للآخر ، وأساس هذه التعددية هو الاقتناع بأن لدى كـــل شـــعب رسالة فريدة يعطيها للعالم ، وبأن كل شعب قادر على الإسهام في إثراء المسيرة البشرية .
- فكيف السبيل إلى جعل هذا الحوار ممكناً ؟ تقتضي الأولوية الأولى وبإلحاح توفير المزيد من العدالة والمزيد من الاهتمام بالشعوب التي تخشى أن تكون الفئة المستضعفة على هامش هذه المسيرة العالمية الكبرى . وإعلاء مصلحة البـــشر يعني أيضاً وبالدرجة الأولى ، معالجة فعلية لضروب التصدع التي باتـــت لا تطاق في عالمنا ، ولابد من أن نعبئ قواتنا لمكافحة الفقر وتعزيز التربية التي تتيح فهم الآخر .

وإذا كان من الخطأ ومن الخطر أن نربط بشكل مباشر ما بين الإرهاب والـــبؤس ، فمن الواضح للجميع أن هناك عملية تتابع بين الإرهاب والتعصب ،

والتعصب ينمو في تربة الجهل والبؤس ، وتوفير المزيد من العدل والإنصاف يجعل الإعداد للمستقبل المشترك للشعوب أكثر سخاء .

- حـــوار الـــثقافات يجـــب أن يجري ببصيرة وتواضع لأن عدوه اللدود هو الغطرسة . ويمكن لكل حضارة ولكل شعب بل عليهما أن يفتخرا بما أنجزاه وأعطـــياه للعـــالم . ولكـــن على كل حضارة وكل شعب أن يدركا أيضاً ما لـــديهما من جوانب مظلمة ، فجميع الحضارات في مرحلة ما من تاريخها ، أخلـــت الـــسبيل لأصوات التزمت وحاولت أن تحط من شأن الآخر بل وأن تنكر إنسانيته .
- فـــي مـــاض لـــيس بالبعـــيد ارتفع صوت الإنسانية في مواجهة قوى الحقد والرفض وسوء الفهم ، ولكي ينتصر هذا الصوت من جديد ، علينا أن نتعلم التفاهم والتحادث والعمل المشترك في ظل احترام النفس والاعتزاز بالهوية، وذلـــك هو مغزى حوار الثقافات ، وهو الرهان الذي يتعين أن يكون تحقيقه مهمتنا جميعاً .

٦ - **الأمير تشارلز " الإسلام والغرب " :** (٢٣)

يعرض تشارلز رؤيته على النحو التالي :

- العلاقـــات بين العالمين الإسلامي والغربي تتسم الآن بالأهمية أكثر من أي وقت مضى ، لأن درجة سوء الفهم بينهما ما تزال عالية على نحو خطير ، ولأن الحاجـــة لتعايشهما وعملهما معاً على نحو متزايد هي الآن أعظم من أي وقت مضى .
- الحقـــيقة المحـــزنة هي أنه بالرغم من التقدم في مجال التكنولوجيا ووسائل الاتصال في النصف الثاني من القرن العشرين ، فإن سوء الفهم بين الإسلام والغرب ما يزال مستمراً ، بل وربما أخذ يزداد .
- ســـوء الفهـــم هذا بالنسبة للغرب لا يمكن أن يكون حصيلة الجهل ، فهناك بليون مسلم في شتى أرجاء العالم يعيش الملايين منهم في بلدان الكومنولث، وهـــناك عشرة ملايين مسلم أو أكثر في الغرب ، فالإسلام يحيط بنا من كل جانب ، ومع ذلك يستمر الشك والخوف .

- لا ريب أن فرص السلام في عالم التسعينيات بعد انتهاء الحرب الباردة أصبحت أعظم مما كانت عليه في أي وقت مضى خلال هذا القرن . وفي الشرق الأوسط تتزايد الآمال في إنهاء مشكلته التي أدت إلى انقسام العالم ، وكانت على نحو مثير مصدراً للعنف والكراهية . لكن الأخطار لم تندثر بل وتتزايد كل يوم ، المعاناة المروعة للشعوب في أرجاء العالم : في يوغوسلافيا السابقة ، الصومال ، أنجولا ، السودان وكثير من الجمهوريات السوفيتية السابقة ، وهو الأمر الذي يساهم في إبقاء المخاوف والأخطار المتعصبة التي يكنها عالمنا الإسلامي والغربي لبعضهما البعض .
- إن الصراع بالطبع يندلع نتيجة لسوء استخدام السلطة وتضارب الأفكار والنشاطات التي يمارسها القادة المتعصبون والمجردون من الضمير ، لكن من المحزن أيضاً أن الصراع يندلع نتيجة عدم القدرة على الفهم ، وعلينا ألا ننجرف إلى حقبة جديدة من الخطر والانقسام ، لمجرد أن الحكومات والشعوب والمجتمعات والأديان لا تستطيع أن تتعايش في عالم متقلص .
- ومن الغريب من وجوه عديدة ، أن يستمر سوء الفهم بين الإسلام والغرب ، والذي يربط بينهما أقوى بكثير مما يقسمهما : فالمسلمون والمسيحيون واليهود جميعاً " أصحاب الكتاب " ولديهم الكثير من القيم المشتركة ، وتاريخهم مرتبط على نحو وثيق .
- أصل المشكلة يكمن في أن معظم تاريخ الإسلام والغرب الممتد لأربعة عشر قرناً ، تميز بالصراع والعداء المتبادلين ، مما أدى إلى نشوء تقليد دائم من الخوف والشك قائم على أنهما غالباً ما ينظران إلى الماضي من خلال منظورين متعارضين : فالحروب الصليبية التي استمرت مائتي عام هي في الغرب سلسلة من الأعمال البطولية ، أما المسلمون فيعتبرونها حقبة من الوحشية ، وعلى حين يعتبر عام ١٤٩٢م في الغرب عام الآفاق الجديدة (اكتشاف الأمريكتين) فهو بالنسبة للمسلمين عام مأساوي حيث سقطت الأندلس . ونتيجة لنظرتنا إلى تاريخنا في الغرب ، فإن الإسلام يعتبر تهديداً في العصور الوسطى ومصدراً لعدم التسامح والتطرف والإرهاب في العصور الحديثة على الجانب الآخر نمت نفس المشاعر منذ غزو نابليون

لمصر عام ١٧٩٨م إلى سقوط الإمبراطورية العثمانية أثر الحرب العالمية الأولى .

- ليست المسألة هي تحديد أي الصورتين أكثر صحة من الأخرى أو أيهما تنكر الحقيقة ، فالأهم هو سوء التفاهم الذي ينشأ عندما نفشل في تقرير كيفية رؤية الآخرين للعالم وتاريخه وأدوارنا فيه . ولقد عانى حكمنا على الإسلام من التحريف الجسيم نتيجة لاعتبار أن التطرف هو القاعدة ، في حين أن الحقيقة مختلفة وأكثر تعقيداً على الدوام . وعلينا أن نفهم نظرة العالم الإسلامي إلينا ، فنحن لا نحقق مكسباً بل نتسبب في كثير من الأذى حينما نرفض تفهم مدى التخوف الحقيقي لكثير من الناس في العالم الإسلامي من ماديتنا الغربية وثقافتنا باعتبارهما تحدياً لثقافتهم ونسق حياتهم . إننا نسقط في فخ الغطرسة المقيدة حينما نخلط بين التحديث في البلدان الأخرى وبين تحويل هذه البلدان إلى أشباه لنا .
- يقدر سوء الفهم في الغرب لطبيعة الإسلام ، هناك جهل بفضله على الثقافة والحضارة الغربية . فالعالم الإسلامي في العصور الوسطى كان عالماً ازدهر فيه العلم حتى قيل أن " مداد العالم أقدس من دم الشهيد " . ولقد تم الاعتراف منذ عهد طويل بمساهمة أسبانيا في ظل الحكم الإسلامي في الحفاظ على العلوم والمعارف ، وفي وضع اللبنات الأولى للنهضة الأوروبية ، لكن المدهش هو مدى مساهمة الإسلام في جوانب عديدة من حضارتنا التي كثيراً ما نعتقد خطأ أنها غربية بأكملها ، إن الإسلام جزء من ماضينا وحاضرنا في جميع مجالات البحث الإنساني ، وقد ساهم في إنشاء أوروبا المعاصرة ، إنه جزء من تراثنا وليس شيئاً منفصلاً عنا .
- علاوة على ذلك فإن الإسلام يمكن أن يعلمنا طريقة للتفاهم والعيش في العالم ، وهو الأمر الذي فقدته الديانة المسيحية مما أدى إلى ضعفها . فجوهر الإسلام يتمثل في حفاظه على نظرة متكاملة للكون ، وقد فقد الغرب هذه الرؤية تدريجياً منذ ظهور كوبرنيكوس وديكارت لكنه يستطيع أن يتعلمها من جديد من الإسلام .

- علينا أن نتعلم تفهم بعضنا البعض ، وعلينا أن نعلم أبناءنا أن يتمكنوا من ذلك أيضاً . وعلينا أن نظهر الثقة والاحترام المتبادل والتسامح ، إذا كان لنا أن نعثـــر على القاسم المشترك بيننا ، وعلينا أن نعمل معاً لإيجاد الحلول ، فلـــم يعد بوسع العالمين الإسلامي والغربي أن يسمحا للانقسام بأن يمنعهما مـــن بذل جهد مشترك لحل مشاكلهما ، لقد وصلا الآن إلى ما يشبه مفترق طرق في علاقاتهما ، ولا يجوز أن ندعهما يفترقان .
- وأنـــا لا أوافـــق علـــى مقـــولة أنهما يتجهان نحو صدام في عهد جديد من الخـــصومة والعداء ، فأنا على قناعة تامة بأن لديهما الكثير لكي يقدماه إلى بعضهما البعض .
- إننـــي سعيد لأن الحوار قد بدأ في بريطانيا وأماكن أخرى لكن سيظل علينا أن نعمـــل بجـــد واجـــتهاد كي نفهم بعضنا بعضاً ، ونزيل أي سموم بيننا ونقـــضي علـــى شبح الشك والخوف ، وكلما قطعنا شوطاً أطول على هذا الدرب تحسنت نوعية العالم الذي سنقيمه لأجيالنا المقبلة .

٧ - **روبين كوك " حوار جديد مع الإسلام " :**[٢٤]

يوضح روبين كوك رؤيته على النحو التالي :

- الفـــن الإســـلامي والعلـــوم والفلسفة الإسلامية ساعدت على تشكيل تطورنا وعملت على تكييف نمونا كأفراد وتداخلت في تفكيرنا وطريقة معيشتنا . إن ثقافتـــنا مديـــنة للإسلام بدين يجدر بالغرب أن لا ينساه ونحن نقوم بتطوير علاقاتنا مع العالم الإسلامي .
- ويجـــب أن لا نـــدع سوء التفاهم بيننا يستمر ويتواصل ذلك لأنه من الخطأ أصـــلاً أن تـــصدر ثقافتان عظيمتان حكماً جائراً على بعضها البعض بهذه الـــصورة المؤســـفة ، ثـــم إنه في عالم اليوم ليس لدينا مفر من العيش معاً والعمـــل مـــتآزرين بسلام ووئام ، فالخيار هو إما أن نعمل معاً متضافرين وننتصر معاً ، أو نترك عدم الثقة والتوجس باقية على ما هي عليه وتكون النتيجة أن نخسر جميعاً .

- البعض يقول أن الغرب بحاجة إلى عدو ، وبما أن الحرب الباردة قد ولّت بغير رجعة ، فإن الإسلام سيأخذ مكان الاتحاد السوفيتي القديم كهذا العدو ، ويقولون أن " صراع الحضارات " قادم ولا مفر منه ، وأنا أقول أنهم مخطئون بل ومخطئون خطئاً فادحاً ، فنحن لسنا بحاجة إلى الإسلام كعدو بل نحن بحاجة إلى الإسلام كصديق ، وقد تكون الحضارات التي لدينا مختلفة وقد تكون الديانات أيضاً مختلفة لكن هذا لا يعني أننا لا نستطيع التعايش معاً .
- يرى أحدنا الآخر ، إلى حد كبير ، عبر الصورة المبسطة والمشوهة والخطيرة لبعضنا البعض فالإسلام يرى الغرب على أنه عدو عاقد العزم على استعمال قيمه المتحررة لتقويض المجتمعات الإسلامية . والغرب من ناحيته يساوي الإسلام بالأعمال المتطرفة التي يقوم بها البعض وكلتا النظرتين في غير محلها ، فأسامة بن لادن لا يمثل الإسلام كما أن الذين ارتكبوا عملية أوكلاهوما الإرهابية لا يمثلون قيم الغرب .
- لقد حان الوقت لكي يبدأ الاتحاد الأوروبي ، ومنظمة المؤتمر الإسلامي ، حواراً حول القضايا العديدة التي تهم الجانبين ، فالحوار البناء فقط يمكننا أن نتعلم كيف يفهم أحدنا الآخر ويثق به ، ويجب ألا يقتصر هذا الحوار على الدبلوماسيين أو حتى وزراء الخارجية ، بل يجب أن يقوم وعلى جناح السرعة بين الشعوب ، وأن يشارك فيه أكبر عدد من المفكرين والمثقفين والفنانين ، لتحطيم الصور المبسطة والمشوهة وللقضاء على الانطباعات المضللة التي تقع في صميم النزاع بين مجتمعينا وتسبب التنافر بين ثقافتينا، وهناك الكثير الذي يمكننا أن نكسبه من قيامنا بذلك الحوار ، والكثير أيضاً الذي يمكننا أن نخسره لو أننا لم نقم بذلك .
- لدى بريطانيا ميزتان في علاقاتها مع العالم الإسلامي ، فنحن نشترك معاً في ألف عام من التاريخ ، مع أنه لم يكن كله تاريخاً سهلاً أو يسيراً . كما لدينا في بلادنا مجتمع مسلم مزدهر يساهم إسهاماً كبيراً في مسيرة المجتمع البريطاني . والأمل هو أن يتمكن الغرب والإسلام من التعايش معاً في وئام وسلام ، والأمل أيضاً هو أن نزيد من ثراء بعضنا البعض فكرياً وإنسانياً واجتماعياً من دون أن نفقد هويتنا المستقلة .

٨ - **جورج كاري " الإسلام والمسيحية في عالم اليوم " : (٢٥)**

يقدم كاري رؤيته على النحو التالي :

- يقع على عاتق المسلمين والمسيحيين مسئولية عظيمة تجاه المجتمع الإنساني، فالمسيحية والإسلام هما أكبر ديانات العالم ومازالتا كلتاهما محتفظتين بكامل عنفوانهما .
- على مدار التاريخ لعب أتباع الديانتين أدواراً لها جوانبها المتباينة بصورة ما في تسيير أمور العالم ، فمن الناحية الإيجابية ترك كل من الإسلام والمسيحية آثاراً جليلة للمجتمعات الإنسانية عن طريق التعليم والتكافل الاجتماعي وزرع القيم الأخلاقية السامية من أجل خير البشرية ، لكن من الناحية السلبية هناك فروق الديانتين التي عزلت بكل أسف الناس عن بعضها بعضاً ، وينبغي أن نمعن التفكير في هذا حتى لا نترك الفرصة لصرخات التعصب والجهل تعلو وتخرس صوت الإيمان العقلاني الهادئ ومن ثم يحل العنف والقتل محل الحوار والسلوك الحضاري .
- ينبغي على القيادات الدينية أن تلعب دوراً مسئولاً وخلاقاً ، فالسعي نحو السلام بين ديانات العالم هو بالتأكيد أحد أصعب المهام التي تواجه الإنسانية.
- لقد أسأنا لزمن طويل تقدير إلى أي حد يمكن للثقافات والأديان أن تخلق الانقسامات في أجزاء عديدة من العالم ، وفشلنا في فهم ما يمكن أن تعنيه للشعوب خاصة الشباب ، فما الذي يجب عمله إذن ؟ هناك أربع مقولات لتغيير التوجه هي : الصداقة لا العداء ، التفهم لا التجاهل ، الانفتاح لا الانغلاق ، والتعاون لا المجابهة .
- فالصداقة ، وهي كلمة أدق من التسامح التي قد تعني اللامبالاة ، هي الإطار الذي يحتوي كل الاختلافات في تواصل ، والذي يحتضن المعتقدات المخالفة في حب يحول دون الانزلاق إلى العداوة والبغضاء ، لقد قال د. ألبرت حوراني ذات مرة ، أنه ليس باستطاعة أحد أن يكتب شيء ذا معنى عن العالم الإسلامي ، ما لم يؤسس نوعاً من العلاقة الحية مع هؤلاء الذين يكتب عنهم " وتنطبق هذه المقولة أيضاً على العالم المسيحي ، ووصف د. حوراني " للعلاقة الحية " هو جوهر الحوار الذي نسعى إليه .

- وجهلنا ببعضنا البعض أمر مريع ، وكما قال د. عزيز العظمة ، فإن التشويهات التي تعرض لها الإسلام في الغرب ، تمت عبر ثلاثة عصور : فحتى زمن حركة الإصلاح في القرن السادس عشر صور الإسلام كدين متعصب وشرير ، فحتى زمن حركة الإصلاح في القرن السادس عشر صور الإسلام كدين متعصب وشرير ، وخلال عصر التنوير في القرن الثامن عشر صور بأنه ديانة غريبة أو بالأحرى سخيفة ، وفي العصر الحديث يصور على أنه دين يجب الخوف منه ، ولاشك أن هناك ادعاءات مماثلة في التاريخ الإسلامي عن ماهية وطبيعة المسيحية فكيف يتسنى لنا إحالة هذا الجهل المحيط بنا إلى نور ثاقب ؟
- بالتأكيد علينا أن نبدأ بالكليات الدينية والمؤسسات التعليمية ، وكما قلت في محاضرة ألقيتها في الهند في بدايات العام الحالي ، فإنني أتطلع إلى اليوم الذي يطلب فيه من الدارسين لفقه الدين أن يدرسوا طريق حياة وتعاليم عقيدتين أخريين إلى جانب ديانتهم .
- إن السعي نحو السلام والتآلف يطرح مسألة الانفتاح بإلحاح . وعلينا هنا مواجهة المشكلة الأساسية بوضوح ، فكلانا لديه الرغبة القوية في نشر دينه، وتلك حقيقة لا يمكن إنكارها أو الاعتذار عنها ، لكن علينا أن يكون لدينا الاستعداد لسماع الآخرين ولتفهيمهم . ومن الضروري أن ندرك أن الطريقة التي نتعصب بها لها انعكاساتها على عقائد الآخرين ، وأي من ديانتينا لا يمكن أن يأمرنا بنشر دعوتنا عن طريق الكبر أو الخداع أو اللامسئولية .
- لكن هل لدينا الاستعداد الصادق لتنمية هذا الانفتاح ، وهل نسعى نحو منح عقائد الآخرين نفس الحقوق التي نمنحها لعقيدتنا ؟ إن هذه المسألة أصبحت تتطلب الإجابة في جميع أنحاء العالم ، وأعتقد أن مصر بتقاليدها العريقة التي تعود لقرون طويلة من التعايش المشترك بين الكنيسة القبطية والأغلبية المسلمة تضرب مثلاً منيراً للإعجاب وجديراً بالأخذ في الاعتبار .
- لا يستطيع رجال الدين بصفة خاصة تحمل الانزلاق للعداء والمجابهة ، وهناك مجالات واسعة للاتفاق فيما بين الإسلام والمسيحية تؤهلهما لقيام تعاون أعظم والتزام مشترك نحو الإنسانية في صراعها ضد قوى الشر والفقر والمرض .

- فالإسلام والمسيحية يحثان أتباعهما على أن يكونوا أعضاء نافعين وجيراناً متعاونين في المجتمع الإنساني ، وهما أيضاً يتفقان على أن العدل والتكامل هما أساس بناء هذا المجتمع ، كما أنهما يتفقان على الإيمان بحقائق أبدية في العـــالم المحكـــوم بواقـــع اللحظة . ومن ثم فهما يشتركان في الوقوف ضد العلمانية كنظام لتفسر الحياة والمعرفة والحضارة .
- إن هذه الاتفاقات الدينية والأخلاقية تفتح الباب واسعاً لمزيد من التعاون بين المـــسلمين والمـــسيحيين فـــي محاربة قوى الشر الكبرى التي تهدد العائلة الإنـــسانية : ففي مواجهة الفقر لدى كل من الإسلام والمسيحية هناك تراث طويل من التكافل الاجتماعي وموارد ضخمة يمكن استخدامها لتلبية حاجات الفقراء والمرضى ، وفي مواجهة الصراعات تستطيع القيادات الدينية ، بل ينبغي عليها بالأحرى أن تقوم بدور أكثر فاعلية خاصة حينما تقحم الخلافات الدينـــية فـــي هـــذه الصراعات ، وفي مواجهة العنف أو التطرف أو تسفيه العقائد ، لابد أن يسمع صوت رجال الدين بوضوح ضماناً للاستقرار وتلافياً لتفجر الأزمات .

٩ - الـــبابا يوحـــنا بولس الثاني " الحوار بين الثقافات من أجل حضارة المحبة والسلام " :[٢٦]

يعرض يوحنا بولس الثاني رؤيته في الأفكار التالية :

- فـــي مطلع ألفية جديدة ينتعش الأمل بأن تكون العلاقات بين البشر مستوحاة أكثـــر فأكثـــر من مثل التآخي لكن لا يخفى أن البشرية بدأت هذا المنعطف الجديـــد مـــن تاريخها بجروح لم تلتئم بعد ، فهي تعاني في بقاع كثيرة من نـــزاعات حادة ودامية . لذا بدا لي أن أدعو المؤمنين بالمسيح ومعهم جميع البـــشر ذوي الإرادة الطيـــبة إلـــى الـــتأمل في الحوار بين ثقافات الشعوب وتقالـــيدها المختلفة كسبيل ضروري لبناء عالم متصالح وقادر على التطلع بصفاء إلى مستقبله .
- كثيـــراً ما كان تنوع الثقافات في الماضي مصدراً لسوء الفهم بين الشعوب ودافعاً لنزاعات وحروب . لكن اليوم أيضاً وللأسف نشاهد بقلق ترسخ عدد مـــن الهويات الثقافية الرافضة لكل تأثير خارجي خير في بقاع مختلفة من

العـــالم . ودور وتأثير وسائل الاتصال الحديثة وطموح بعض الدول لنشر ثقافـتها علـــى حـــساب الهـــويات الثقافية للشعوب الأخرى يزيد من تعقيد المشكلة. ثم هناك مسألة الهجرة التي باتت ظاهرة اجتماعية خطيرة بما تثره مـــن قضايا الاندماج الثقافي في البيئة البشرية الجديدة ، وليس هناك صبغة ســـحرية لحـــل هذه القضايا الشائكة ، لكن إذا كان تقدير الثقافة الذاتية يظل واجباً ، فإن احترام ثقافات الآخرين بات ضرورة .

- بقـــدر ما تكون الثقافة حية ، فإنها لا تخشى الاضمحلال ، من ثم فلا يمكن الحـــد فـــي مجال الحوار بين الثقافات من تفاعلها فيما بينها ، وهذا الحوار يرتكز على الوعي بالقيم الإنسانية المشتركة ، والديانات المختلفة قادرة على القـــيام بإســـهام مهم في هذا الحوار ، فالانفتاح المتبادل بين أتباع الديانات المختلفة سيستمر خيراً عظيماً لقضية السلام ولخير البشرية كلها .
- أمام التعاون المتزايد في العالم ، ينبغي إنماء وعي متصاعد بقيم التضامن ، وقـــيم التضامن الأصيلة تقتضي إرساء العدالة لتتمكن البلدان الأشد فقراً من مواكبة ركب النمو الاقتصادي والرقي البشري . ولبناء حضارة المحبة لابد أن يـــسعى الحـــوار بين الثقافات لتخطي الأنانية ، فينبغي النظر إلى ما هو أبعد من الخبرة الفردية لاكتشاف غنى تاريخ الآخرين وثراء قيمهم ، ولابد من تخطي إرث الحروب والنزاعات والعنف والأحقاد التي مازالت حية في الذاكرة وذلك بدخول درب الصفح والمصالحة ، وإذا كان هناك من يرى ، باســـم الواقعـــية ، أن هـــذا وهم وأمر ساذج ، فإن الرؤية المسيحية تعتبره السبيل الوحيد لبلوغ السلام .

ووفقـــاً لما تقدَّم يتحدد الهدف الأساسي من الدراسة الراهنة في إخضاع بعـــض الآراء الأساســـية والـــسائدة حـــول أطروحتي : " صدام الحضارات " و" حوار الحضارات " للتحليل على النحو التالي :

١ – تقـــويم العلاقة بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى على صعيديها التاريخي والراهن .

٢ – تقـــويم دور الحضارة الإسلامية في بعث وتطور حضارة الغرب على وجه الخصوص .

٣ – تحليل العوامل التي أدت إلى تصاعد فكرة " الحوار الحضاري " أو فكرة " الصدام الحضاري " .

٤ – تقويم الأطروحات والنظريات التي أبرزت طابع " الصدام بين الحضارات " وتلك التي أبرزت طابع " الحوار والتفاعل الحضاري " .

٥ – تحليل أسباب ا لعداء بين الإسلاميين (حركات الإحياء الإسلامي) والغرب .

٦ – تحليل دعوة الإسلام للالتقاء والتحاور بين الشعوب والحضارات .

٧ – تقـويم الدور النسبي للإسلام كديانة وثقافة في تحديد سمة ونموذج العلاقات الدولية ، وخاصة بين الدول الإسلامية والغرب .

٨ – محاولات فحص التساؤل حول سمات العلاقات الدولية الراهنة ووجهتها .

٩ – تقويم ظاهرة " الإحياء الإسلامي " ودلالاتها .

١٠ – تقويم احتمالات الصدام الحضاري بين الإسلام والغرب ، وكذلك احتمالات التعايش السلمي بينهما .

١١ – اقتراح نموذج للتفاعل الحضاري بين الإسلام والحضارات الأخرى .

إطار التحليل :

١ – التأصـيل المنهجـي لمـشكلة البحث ومبرراته والأهداف التي يسعى إلى تحقيقها.

٢ – التحلـيل الـنقدي للأطروحات والنظريات التي اهتمت بالتفاعل الحضاري وجذورهما التاريخية .

٣ – التحليل التاريخي للعلاقة بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى (مع التركيز على أثر الحضارة الإسلامية على هذه الحضارات) .

٤ – تحليل تطور ونمو فكرة الغرب في مقابل فكرة الشرق ، وأثر الإسلام تحديداً في قيام الحضارة الغربية .

٥ – تحليل أوجه التقارب بين الديانات السماوية كمدخل للتقارب الحضاري .

٦ – تحلـيل الأسـس التي يقوم عليها الحوار الحضاري من خلال نموذج يعتمد على تفعيل ما هو متاح من آليات ، وإبداع آليات جديدة .

قضايا منهجية في حوار الحضارات :

١ – يتعارض مع فكرة الحوار شكلاً ومضموناً، التركيز على صورة العدو والأخذ بنظرية التآمر في إطار التفاعل بين الحضارات المختلفة .

٢ – ظهور بعض أشكال العنف، والذي يغذيه ويروج له بعض أصحاب المصالح، من شأنه أن يحول دون حدوث أي تقدّم ملموس على طريق الحوار، خاصة إذا تأسس هذا العنف على رؤية إيديولوجية .

٣ – التجاهل وعدم الاكتراث من قبل الغرب، الذي يصل أحياناً إلى حد الاستعلاء الحضاري، من شأنه أن يزهق كل جهود التسامح الحضاري (بوصفه الركيزة الأساسية لحوار الحضارات) .

٤ – الفهم الخاطئ لقضية اختلاف الحضارات وتمايزها، واعتبارها عقبة في سبيل التواصل الحضاري، على حين أنها كانت دائماً أساساً للتفاعل الحضاري، فالتباين يحقق التكامل والتلاقح لا الصراع .

٥ – أن يحرص المتحاورون على أن تظل المتغيرات بين الحضارات في حدود القيم والثوابت الإلهية .

٦ – التسليم المشترك بالغيبات والتوفيق بين الماديات والروحانيات .

٧ – أن يسعى كل الأطراف – بإخلاص – للتوفيق بين المتناقضات .

٨ – وضع آليات وأرضية مشتركة لاستمرار الاتصال بين الجانبين الإسلامي والغربي دون انقطاع .

٩ – اقتناع أطراف الحوار بجدواه وأهميته .

مشكلات جوهرية في سبيل حوار الحضارات :

١ – انعدام نقطة الاتصال بين أطراف الحوار (وخاصة الجانبين الإسلامي والغربي) بتأكيد كل طرف على تميزه، فحيث يركز الجانب الإسلامي على الإسلام بمعنى الشريعة وقيم الحوار والتسامح وقبول الآخر والتعاون ووحدة الجنس البشري .. إلخ، على حين يركز الغرب على قيم الحرية والديمقراطية والليبرالية .. إلخ. ويحاول الطرفان إثارة القضايا الخلافية، أكثر من البحث عن أرضية مشتركة بينهما .

٢ – المشكلة الثانية، مع من يتحاور المسلمون ؟ لقد أعلن كثير من المخططين الاستراتيجيين أن الإسلام هو العدو البديل بعد انتهاء الحرب الباردة بهزيمة الاتحاد السوفيتي، ومن ثم فنحن في أغلب الظن أمام مخطط يستهدف العالم الإسلامي، وإذا كان الأمر كذلك، فإن أي جهود تبذل على طريق الحوار سوف تبوء بالفشل .

٣ – والمشكلة الثالثة، أن جهود الحوار قد لا تثمر دون تحقيق مصالحة تاريخية عن أخطاء ارتكبها الغرب كالحروب الصليبية والاستعمار، وما يجري في فلسطين تحت سمع وبصر ودعم الولايات المتحدة وأوروبا .

٤ – شيوع فكرة المفاضلة بين المسلمين والغرب، والسعي المتبادل إلى تعداد الأخطاء. فمن الأهمية أن يركز الحوار على القضايا الكبرى حتى لا تترك الأمور نهباً لسوء الظن، أو التنابز بما لا يحب كل طرف أن يسمعه من الآخر. ويجدر بنا أن نشير أن الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان وسيادة القانون كلها قيم إنسانية (إسلامية وغربية) مشتركة يمكن أن تكون أساساً للتلاقي بين الطرفين .

٥ – الاستخفاف بقواعد القانون الدولي ومؤسسات المجتمع الدولي، والكيل بمكيالين في التعامل مع المشكلات الإقليمية، مما يزيد من الشعور بالظلم نظراً لعدم وجود حلول منصفة تقوم على مبادئ الحق .

٦ – الدفعة الكبيرة التي منحتها أوروبا وأمريكا لسيناريو صدام الحضارات مما أشعل موجات الكراهية والعنف ضد المسلمين (خاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر) .

مراجع الفصل الأول

1 - Robertson, R. (1996), Globalization – Social Theory and Global Culture, Sage Publications, London.

2 - Abazaa, M. & Stauth, G. (1990), Occidental Reason, Orientalism, Islamic Fundamentalism: A Critique", In M. Albrow & E. King (Eds.), Globalization, Knowledge & Society, Sage, London.

٣ – وجيه كوثراني (١٩٩٧) ، أزمة نظام عالمي أم صدام حضارات ، المؤتمر الدولي حول صـــراع الحـــضارات أم حوار الثقافات ، منظمة تضامن الشعوب الأفريقية والأسيوية ، القاهرة ، ١٠–١٢ مارس ١٩٩٧ .

٤ – حازم الببلاوي (١٩٩٨) ، حوار أم صراع الحضارات ، مؤتمر العولمة والهوية الثقافية ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ١٢–١٦ أبريل ١٩٩٨.

5 - Hunter, S. (2002), The Future of Relations between Islam and theWest, Greenwood, New York, (Chapter 2 مواضع متفرقة)

6 - Ibid.

7 - Lewis, B. (1989), Politics and War, in the Legacy of Islam. Ed. Joseph Schacht and C. E. Bosworth, Oxford University Press.

8 - Pipes, D. (1986), Fundamentalist Muslims between American and Russia, Foreign Affairs, 64, No. 5 (Summer), 948.

9 - Hunter, S. (2002), Op. Cit., (Chapter 2) مواضع متفرقة

0 - Ibid.

١١ – أرنـــولد توينبـــي (بدون تاريخ) مؤلف ، أمين محمود الشريف (مترجم) ، الحضارة في الميزان ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة .

١٢ – المرجع السابق ، ص ١٩٠ .

١٣ – المرجع السابق ، ص ١٩٥ .

١٤ - روجـيه جـارودي (١٩٨٦) مؤلـف ، عادل العوا (مترجم) ، في سبيل الحوار بين الحضارات ، منشورات عويدات ، بيروت ، باريس .
١٥ - ولـيد محمـود عـبد الناصر (٢٠٠٢) ، حوار الحضارات ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، الأهرام ، القاهرة ، ص ٥٦ .
١٦ - المرجع السابق ، ص ٦٦ .
١٧ - المرجع السابق ، ص ٥١ .
١٨ - المرجع السابق ، ص ٦٨ .
١٩ - عمـرو موسـى (الأمـين العام للجامعة العربية) ، محاضرة ألقيت في مركز الدراسات الإسلامية ، جامعة أكسفورد ، لندن ، ٢٠٠١/١١/٩ .
٢٠ - زيـن العابدين بن علي (رئيس تونس) ، خطاب ألقاه أمام الندوة الدولية حول " حوار الحضارات " التي عقدت في قرطاج بتونس في ٢٠٠١/١١/١٢.
21 - Prince Hassan Bin Talal of Jordon, Respecting the Sanctity of Life, the Earth Times, 5/10/2001.
٢٢ - جـاك شيراك ، من خطاب افتتاح المؤتمر العام الحادي والثلاثين لليونسكو ، باريس ، ٢٠٠١/١٠/١٥ .
٢٣ - الأمير تشارلز ، محاضرة ألقيت في جامعة أكسفورد بلندن ، ١٩٩٣/١٠/٢٧ .
٢٤ - روبـين كـوك (وزيـر خارجـية بريطانيا الأسبق) ، محاضرة ألقيت في مركز الجالية الإسماعيلية في لندن ، ١٩٩٨/١٠/٨ .
٢٥ - جورج كاري (كبير أساقفة كانتربري) ، عن محاضرتين قام بإلقائهما في جامعة الأزهر ، ومشيخة الأزهر خلال زيارته للقاهرة ، نوفمبر ١٩٩٩ .
٢٦ - قداسـة البابا يوحنا بولس الثاني ، رسالة بمناسبة الاحتفال بيوم السلام العالمي، أول يناير سنة ٢٠٠١ .